افتتاحية العدد

إعداد: أسرة التحرير

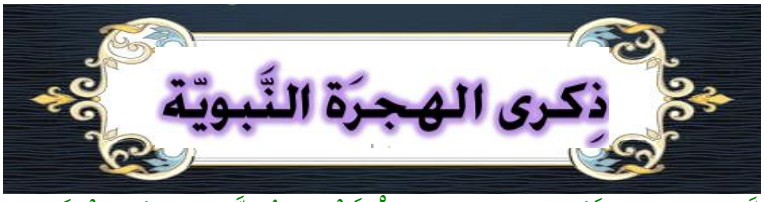

إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا[1].

ثُمثل الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حدثاً بارزاً في التاريخ الإنساني عامّة، وفي تاريخ العرب خاصّة، لأنها هجرة غيّرت مجرى التاريخ، وكانت إعداداً لأمة لتأخذ مكانها في مسيرة الحياة، وهيأت جيلا مؤمنا بنى حضارة إنسانية عالمية، عرفت بأصالتها وعراقتها، وكان لها دورها في خدمة البشرية على مدى عصور ودهور طويلة، فهي هجرة أحيت أمّة، وجعلت لها وجودا متميزا أبرز هويتها وكشف عن شخصيتها.

وقد جرت عادة الأمم أن تحتفل وتُخلّد ذكرياتها العظيمة التي أحدثت فيها نقلة رفعتها إلى ما هو أفضل في مسالك الحياة، وقد درجنا نحن المسلمين والعرب على الاحتفال بهذه الذكرى العطرة هجرة المصطفى ﷺ، لأنها نقلة ربطتنا بروائع أمجادنا وحضارتنا الضاربة جذورها إلى ما حققه الرسول الكريم من إنجازات ونتائج خالدة. وقد تعودنا أن نحتفل بذكرى الهجرة كل عام حينما تطل علينا نقيم الاحتفالات ونشيد بالعبر والدروس والفوائد التي حققتها والتي نرى فيها نبراسا للإفادة منها، والسير على خطاها، وندعو للاستفادة من النهج النبوي في أخذه بالأسباب لتحقيق الأهداف من حُسن التخطيط والتدبير المؤديان إلى النجاح.

---

1 سورة التوبة، الآية 40.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل استفدنا حقا من هذه الذكرى ودروسها وعبرها فحققنا ما تصبو إليه الأمة؟ أم أن احتفالاتنا أصبحت فلوكلورية ننثر الخطب وننظم الشعر ونرفع أعلام الزينة وندق الطبول ونقيم الموائد ونتبادل التهاني ثم يمضي الاحتفال وتضيع بعده كل العبر والدروس والفوائد التي اهتزّت معها مشاعرنا وأحاسيسنا وكأن شيئا لم يكن؟؟.

في ذكرى هجرته ﷺ نقول أنه أخذ بأسباب النجاح لتحقيق ما كلّفه الله ـ عز وجل ـ به من تبليغ رسالته ونشرها، فقد كانت الأهداف أمامه واضحة جليّة ومُحدّدة، بل لا مجال لتعديلها أو التفاوض حولها، فقد لخّص موقفه منها بقوله: (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)[1]. وقد أمضى ﷺ ثلاثة وعشرين عاما يُكافح ويجاهد حتى حقّق ما أراد ووصل إلى هدفه المنشود.

لقد حقق ﷺ ما أراد لأنه أخذ بأسباب النجاح للهجرة قبل قيامه بها حينما مهّد لبناء قاعدة صلبة للدعوة التي غرسها في قلوب المهاجرين والأنصار، اتضحت معالم ذلك في بيعة العقبة الأولى والثانية، ثم بإرساله مصعب بن عمير إلى المدينة والذي نشط فأدخل الإسلام في كل بيت من بيوتها، وقد تهيأت لاستقبال القيادة أحسن استقبال، كما أخذ ﷺ بكل أسباب النجاح ليهاجر رغم قسوة الظروف المُعيقة، فقد عمّى على المشركين المحيطين ببيته، إذ خرج من بينهم، وجعل عليا ـ رضوان الله عليه ـ ينام في فراشه ليوهم أنه في البيت.

وخرج من مكة مع أبي بكر في غفلة عن أعين قريش، واتجه جنوبا وليس شمالا صوب يثرب، وأقام في الغار ثلاثة أيام ليُخفّ عنه الطلب، ووظف من يأتيه بالأخبار والزاد، وزادت الحيطة بتكليف عامر بن فهيرة ليعفي آثار الأقدام، واستأجر دليلا ثقة خبيرا في طرق الصحراء، وتحدى كل الصعاب إلى المدينة المنورة التي جعلها قاعدة الانطلاق لنشر الدعوة، والتي تجمع فيها المهاجرون والأنصار في إخوّة لم تعرف البشرية لها مثلا، فقد غرس في نفوسهم عقيدة راسخة حملوها إلى العالم، تُكللهم أنوار الهداية، فقد كانوا جيلا متفرداً شرب الهدي النبوي واتبعوه

1 ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم 909.

اتباعا حازما مستنيرين فيه بإرشادات وتوجيهات الكتاب الكريم، وسنة النبي، فكان على أيديهم انبثاق فجر جديد للإنسانية، صنعوا حضارة تقوم على الهداية، وقد أنتجت فكراً وسلوكاً ارتبط بالعبودية لله ـ تعالى ـ.

ولم يغب عن بال محمد ﷺ أن طريقه تقوم على الإيمان المطلق الذي غرسه في قلوب أصحابه، فكانت الثقة بالله يقينية راسخة، فالنجاح والتوفيق بيد الله ـ عز وجل ـ هذا الإيمان، وهذه الثقة أمدّت محمداً ﷺ وأصحابه بالقوة، وزرعت فيهم التصميم، ومنحتهم الإرادة والعزيمة والصبر، فتغلبوا على الصعاب، وهي صعوبات جمّة تتمثل في قبائل متنافرة لا تسودها الألفة والوئام، ودولتان عظيمتان على أطراف الجزيرة، بينهما صراع إلا أنهما تتفقان على إبقاء القبائل العربية تسير في ركبهما.

نعم؛ لقد هاجر محمد ﷺ فبنى أمّة، وأقام دولة، وصنع تاريخاً، وحقق نجاحا، ولم يُضيع الزمن في المدينة المنورة في التسلية والاستعراض، بل أعدّ العدّة كي يعود إلى مكة التي خرج منها مهاجرا، فقد عاد إليها قائداً فاتحا متواضعا لله، غير مزهوّ بالنصر، لقد عاد وقد خضعت له رؤوس القوم، ثم أكمل المشوار بإرسال الكتب إلى الملوك والزعماء يدعوهم إلى الإسلام. وفي هذه الذكرى نقول: أين نحن من الاستفادة منها ومن دروسها وعبرها؟؟.

هاجر محمد ﷺ ونجح لأنه أخذ بأسباب النجاح من وضوح الهدف ودقّة التخطيط، وحُسن التدبير، وإدارة الأزمة على الوجه الذي يريد، فانتصر وتحقق له ما أراد، أما نحن فقد أصاب الران أهدافنا، حتى انكمش وضوحها وتاهت في الطريق، وتخبطنا فلم نحسن التخطيط والتدبير لأسباب داخلية وخارجية، تمثلت في انشغالنا بمشاكلنا الداخلية، وكثرة الطامعين في ثروات بلادنا وخيراتها، ونسينا أنا أصحاب رسالة سماوية علينا تبليغها للناس كافّة.

وقد هاجر ﷺ وفي الهجرة تضحية عظيمة من أجل غاية أعظم يهون في سبيلها ترك الوطن والأهل والولد والمال. ونجح في إقامة دين الله في الأرض، وأما نحن فنهاجر أيضا إما من أجل دنيا نصيبها، وإما فراراً من قسوة وقهر وظلم، هاجرت عقول لأبنائنا، وخدمت من يكيد لأمتنا، والأولى لها أن تخدم الأمة التي تنتسب إليها، وهاجر من لم يجد في وطنه إلا التضييق وأصبح مهدداً بالقتل أو الحرق أو التدمير، إن أعداداً هاجرت من الأوطان فكان مصيرهم أن خُطف شبابهم،

وماتت أحلامهم، وسرقت أفكارهم، واغتيلت عقولهم وجرفتهم سيول الضياع، فغرقوا في شواطئ الغربة والموت لأنهم لم يحسنوا التخطيط، ولم يأخذوا بالأسباب.

نجح محمد ﷺ في هجرته التي جمعت القبائل المتناحرة وصهرتها في مجتمع مثالي يقوم على أخوّة إيمانية، وحدّ فيها الصف، وساوى بين الجميع، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، وخضع الجميع لسلطان دولة ربّانية، وها نحن اليوم نرى أن الأمم تداعت علينا كما تداعى الأكلة على قصعتها، وتفرّق شمل الأمة، واضطرب حالها، فهل لنا من يعيد لمّ شملها ويوحدها لتواجه تلك الأمم التي تداعت عليها وتُعلّمها أن هذه الأمة تحمل رسالة عالمية أرادها الله لتكون طريق خير للإنسانية تقودها إلى برّ الأمن والأمان والسلامة والسلام؟.

لقد هاجر محمد ﷺ الواثق بربّه ثقة صادقة متينة كانت سلاحاً من أقوى الأسلحة، هذه الثقة نحن بحاجة إلى أن نُحييها في النفوس، إذ أن فيها أعظم درس للأمة، ثقة بالله تفتح طريق الفلاح والنجاح، نُربّي أبناءنا عليها وهم الآن أحوج ما يكون إلى التمسّك بحبل الله المتين، والصدق في التوكّل على الله، والسير على منهج النبي الكريم ﷺ، ولا بد لهم من الإقبال على الله والتقرّب إليه بالطاعات والعمل الصالح، والمضي في سبيل الله مجاهدين حق الجهاد بالكلمة الطيبة، والعمل الحسن، والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى فتور العزائم والهمم.

إن احتفالنا بذكرى الهجرة النبوية بالنهج الفولكوري بالخطب الرنانة وإقامة ألوان الزينة هو احتفال مفرّغ من مضمونه، إذ لا بد أن تكون الدروس والعبر المستفادة من هذه الذكرى محل استفادة فعلية، وتطبيق عملي في حياتنا فنحسن التخطيط، وندير الأزمات والأمور بحنكة وحذق، ونأخذ بأسباب النجاح لنصل إلى ما نريده من خير لهذه الأمة اقتفاء بمنهج الرسول الكريم ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إلى أين؟ يا خير أمّة

إعداد: عزت محمد دوفش ـ المحرر المسؤول

تعرّض العالم الإسلامي لغزو سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وحضاري، في هجمة شرسة اشتدّت نتيجة المدّ الاستعماري على معظم البلاد الإسلامية، وتفاقم هذا الغزو بعد ثورة تكنولوجيا المعلومات، وبزوغ فجر العولمة التي تحوّل فيها العالم بأجمعه إلى قرية صغيرة تسيطر فيه القوى العملاقة على مقدرات الأمم والشعوب الضعيفة، وتفرض فكرها وثقافتها وقيمها النابعة من روح مادّية علمانية، متحررة من قيم الدين وأخلاقه، وتهدف إلى فصل الدين عن الحياة. إن من يملك أسباب القوّة بإمكانه أن يفرضها على من لا يملك القوّة، كما أن المغلوب يميل إلى تقليد الغالب.

يقول ابن خلدون في الفصل الثالث والعشرين من مقدمته: "إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله**" ويُعلّل ابن خلدون ذلك بالقول: "**إن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ولذا فإن المغلوب يتشبّه بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه وفي سائر أحواله، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبّهين بهم دائما لاعتقادهم الكمال فيهم**".**

وإننا لنشهد أن العالم الإسلامي قد وقع تحت تأثير المدّ الاستعماري، وانجرّ وراء قيم وسلوكات نتيجة لهذا المدّ ساهمت فيه جملة من الأسباب والعوامل، بعضها داخلي؛ وبعضها خارجي، فالعالم الإسلامي كان يُعاني من التأخرّ والضعف والجمود، مما أدّى إلى انحداره عن المستوى اللائق، إذ ضعفت روح فهم الإسلام، وأصاب الأمة تمزّق بسبب سياسة فرّق تسد**، وانشغلت الشعوب بمشاكلها الداخلية، وكان على الجهة الأخرى تقدّم علمي مهول في كافة الميادين، وبخاصة بعد ظهور ثورة المعلومات التي كانت ثمرة للثورة الصناعية وما نتج عنهما من مخترعات نقلت الحياة البشرية إلى مراحل متميّزة ارتقت بمستوياتها**

المعيشية، أضف إلى ذلك أن انخدع بعض المسلمين وانبهروا بالحضارة الغربية وما فيها من تقدّم، وروّج بعضهم أفكاراً توحي بأن تخلّف الأمّة إنما يعود للدين، وبخاصة عند نفر ممن درس وتلقى العلوم في الدول الغربية، أو ممن تتلمذوا على يدّ المستشرقين الذين كان أغلبهم يعمل لخدمة دولهم الاستعمارية. لقد ظهر لدى هؤلاء الدارسين نشاطات تُمجّد الحضارة الغربية، وتعمد إلى تقزيم الحضارة الإسلامية، والتقليل من شأنها. وقد ظهر تيار فكري له أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية يحاول صبغ حياة الشعوب الإسلامية بطابع غربي يُهمّش الشخصية المستقلة والمميزة للشعوب الإسلامية ويجعلها تابعة للحضارة الغربية والأخذ بها في كل الميادين.

ولا يغيب عن البال ما كان لوسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز وانترنت من دور في التأثير على فكر الأمة وثقافتها، وهي تستوحي في كثير مما تقدمه من الغرب وأفكاره من خلال الكتب والأفلام والأشرطة والفيديوهات التي تبثّ ما لا ينسجم ولا يليق بقيم مجتمعاتنا المسلمة، فهي تبث سمومها وتخلط الحابل بالنابل، والغث بالسمين، وتنشر ترهات ما شاء لها أن تلفق اقتداء بما يجري في المجتمعات الغربية، مما جعل شبابنا يعيش في ضياع، ووقع في فوضى واضطراب نتج عن ذلك اهتزاز لكثير من القيم التي أصبحت موضع شك، ربما أدّى عند البعض إلى رفضها وعدم قبولها، رغم أصالتها وجمالها.

إن هذا الغزو الفكري أشدّ خطراً على الأمة من الغزو العسكري، لأن الغزو العسكري صريح ومباشر، تسارع الأمة إلى مواجهته والوقوف في وجهه وضده، أما الغزو الحضاري فهو غزو صامت وغير صريح، وقد تكون فيه عوامل جذب وإغراءات يصعب مواجهتها أو الوقوف أمامها، وبخاصة حينما يوجد نفر من الذين أصابهم الانبهار تراهم يُزينون لنا لتقبّلها، ولذا تدفقت علينا موجات أغرقتنا في بحر السلوكيات الغربية التي ليست من مناهجنا ولا من أسلوب حياتنا، قلّدنا غيرنا بعاداته الفاسدة، وأخلاقياته المذمومة التي تفوح منها رائحة غريبة نتنة،

تمرّغ أنف الإنسانية في مستنقعات الوحل، وتنذر بالشر المستطير الذي يهدم الفضائل التي تعتزّ بها هامة الأمة عبر تاريخها الطويل.

وقد يطول الحديث عما أصاب الأمة في فكرها وثقافتها وعاداتها وقيمها، وما أصاب كرامتها في السياسة والاقتصاد والاجتماع، فقد تكالبت علينا الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها وانجررنا خلفهم، وصدق فينا قول الرسول ﷺ إذ يقول: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع)[1].

ويقول أبضا: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلك جحر ضبّ لسلكتموه)[2]. أي أننا سنتبع طريق غيرنا في أفعالهم وحياتهم متابعة شديدة دقيقة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلناه، والضب حيوان جحره ضيق شديد الظلمة يدل ضيقه على رداءته وسوءه، وله رائحة تزكم الأنوف، وهذا الإخبار من معجزاته ﷺ فإننا نعيش هذا الواقع ونشاهده اليوم بأعيننا.

إن انسياق بعضنا وراء الغرب وحضارته إنما يتوكأ على عصا العجز، والتشبث بالانبهار الذي وصل إليه الغرب في حضارته المادّية بكل ما فيها من تقدم لكنها تفتقر إلى روح القيم الإنسانية والأخلاقية، وحتى نكون منصفين فإن سلوكياتنا اختلطت؛ فمنها ما قلدنا فيه غيرنا، ومنها ابتدعناه مما لا يليق بنا، فشاعت الفتن في البيوت والشوارع والمرئيات، فنجد المجلات والأشرطة الهابطة، والأغاني الساقطة، والصور الخليعة، والكتب التي تحمل أفكاراً هدّامة باسم الحرّية الشخصية وحُرية الرأي، كما شاعت أنماط الإعجاب بالفنانين والفنانات، يقلدهم الشباب التائه في ملبسهم وقصّة شعرهم، ولبس الأساور والأقراط والسلاسل، واقتناء القطط والكلاب، وصرعات الوشم وتنميص الحواجب، والسفور وخلع الحجاب والاختلاط بين الجنسين، والجلوس على المقاهي والكوفي شوب، وتدخين الشيشة والمخدرات، وحدّث ما شئت عن

---

1 رواه البخاري في صحيحه رقم 7319.
2 رواه البخاري رقم 3456.

الاحتفال بأعياد الميلاد، وعيد الحبّ "الفالنتين" كما شاع الإسراف والتبذير في الأكل والشرب وهدر الطاقات والميل إلى الترف والانشغال بتوافه الأمور وسفاسفها، ومال البعض إلى التمرّد وانتشر العنف في البيوت والمدارس والجامعات، وأصابت الفوضى مناحٍ كثيرة من الحياة حتى لغة الخطاب بين الشباب أصبحت لا هي عربية خالصة، ولا أعجمية تختلط الألفاظ العربية بالكلمات المستوردة، وهذا أمر عجيب.

يظنّ من يقوم بهذه السلوكيات أنه تقدّمي يُساير المدنية والتطور والحضارة، ويواكب الحداثة والتقدم، ولكنه في الحقيقة لا يدري أنه يساهم بسلوكه هذا في الخروج على القيم والأعراف والتقاليد والأخلاق الفاضلة، وهو بذلك يدلّ على شعور بالنقص والإفلاس الأخلاقي، والعجز والضعف، وأنه يُكرّس مفهوم التبعية للغير بما تحمله التبعية من الاستهانة بالكرامة للأمة والإنسانية، وهي من علامات ضياع الهداية والرشاد، وبخاصة إذا أصابت هذه الاستهانة الدين القويم الذي هو دين العدل والحق والخير والمحبّة والتراحم.

وقد بلغ التجرؤ على هذا الدين بوصفه بالرجعية والأصولية والإرهاب والتطرّف والطعن في رموزه وأعلامه، وقد كثر هؤلاء الطاعنون باسم حرية الفكر والرأي حُرّية مزعومة لا ضوابط لها إلا نزعات الهوى، تتردّى في وحول التخبّط والجهل والضياع والانحراف، مستهدفين ثوابت الأمة لزعزعتها في نفوس أهلها وخلخلة الإسلام وقيمه ليهون في القلوب لتتحلل من توجيهاته وممارساته.

وأمام ما طرحنا يبرز السؤال التالي: إلى أين تتجه الأمة التي وقفت أمام مفترق طرق؟ هل تضعف أمام تيار العولمة الجارف الذي يجرف الأمم الضعيفة في طريقه فتذوب ثقافتها وعاداتها وقيمها، وتنصهر شخصيتها فتتعمّق السلوكيات المشار إليها آنفا؟ أم هل تستطيع الوقوف في وجه هذا التيار وتصمد وتحافظ على تميّزها بدينها وقيمها التي كانت منارة عبر التاريخ الإنساني، فكانت أمة من خير الأمم، وصفها ربّ العزّة بقوله:

*** كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ*[1].**

هي أمّة لها رصيد عظيم من الأخلاق الفاضلة النابعة من الكتاب والسنة، وتنبع من عقيدة راسخة توجهها في عبادتها ومعاملاتها، وتقوم على ثوابت من الحق والعدل والخير، ومن خيرية هذه الأمة أنها تستكثر الشر وترى أن نقطة حبر واحدة تُعكّر صفو تنكة ماء، ولهذا ترفض ما يقوم به البعض من سلوكيات سلبية، وأن الأمة مُجبرة على التواصل مع الأمم الأخرى، ولكن عليها أن تحافظ على تميّزها الروحي والأخلاقي، ومع ذلك فعليها أن تتعاون وتأخذ من الأمم الأخرى ما وصلت إليه من تقدم علمي وتكنولوجي في مختلف الميادين، لتسهم في إثراء الحضارة الإنسانية، وتجعل أجيالها تعيش وتواكب التقدم مع الوقوف ضد السلوكيات المنافية لقيمنا، والتي هي من ثوابت وجودنا.

إن علينا وعلى المفكرين المسلمين والمسؤولين في الدولة التي بيدهم مقاليد الأمور، وعلى رجال الإعلام والمُربّين في المدارس والجامعات، وعلى الآباء والأمهات أن يقوموا بالدور المطلوب في توعية أبناء الجيل وزرع الوعي الديني والأخلاقي وترسيخه في الحياة العامّة، أن العيش ليصعب، ودفة الحياة لا يمكنها أن تسير بسلامة وطمأنينة وهدوء دون تعاليم توجهها وهي موجودة لا تحتاج إلى إعداد، بل تحتاج إلى تفعيل لتكون واقعا قائما كما كانت في سابق العهود، ولا بد من بيان خطر تذويب شخصيتها أو اضمحلالها فإن ذلك ضياع لها ولكرامتها، بل وضياع للمسلم المتميّز بسلوكه القويم، ويجب الحذر من الانجرار والانخداع بزيف الأمور، وقد خاطب الله نبيّه الكريم:

*** وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ*[2].**

فكيف بنا والتيار جارف لكل مقوماتنا. فاللهم احفظ هذه الأمة، وقدّر لها الخير لتنشره على الجميع.

---

1 سورة آل عمران، الآية 110.
2 سورة المائدة، الآية 49.

أ. د. حسام الدَّين عفانة / جامعة القدس

الإيثار هو أن يُقدّم الشخص غيره على نفسه في النّفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة **كما قال الجرجاني في التعريفات.**

وذكر العلامة ابن القيّم فروقًا بين كلٍّ مِن الإيثار والسَّخاء والجود، مع أنَّها كلَّها أفعال بذلٍ وعطاء، فقال: "وهذا المنزل ـ الإيثَار ـ هو منزل الجود والسَّخاء والإحْسَان، وسمِّي بمنزل الإيثَار؛ لأنَّه أعلى مراتبه، فإنَّ المراتب ثلاثة:

إحداها: **أن لا يُنقصه البذل ولا يصعب عليه، فهو منزلة السَّخاء.**

الثَّانية: **أن يعطي الأكثر ويبقي له شيئًا، أو يبقي مثل ما أعطى فهو الجود.**

الثَّالثة: **أن يؤثر غيره بالشَّيء مع حاجته إليه، وهي مرتبة الإيثَار"[1].**

وخصلةُ الإيثار من الخصال الكريمة الطيبة، وهي من علامات أهل التقوى، ويعتبر الإيثَارُ مِن محاسن الأخلاق الإسلاميَّة، فهو مرتبةٌ عاليةٌ مِن مراتب البذل، ومنزلةٌ عظيمةٌ مِن منازل العطاء، لذا أثنى الله على أصحابه ومدح المتحلِّين به وبيَّن أنَّهم المفلحون في الدُّنْيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

1 مدارج السالكين 292/2.
2 سورة الحشر، الآية 9.

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الإيثار، وكذلك الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ضربوا أروع أمثلة الإيثَار وأجملها، ومَن يتأمَّل في قصص إيثارهم يحسب ذلك ضرباً مِن خيال، لولا أنَّه منقولٌ لنا عن طريق الإثبات، وبالأسانيد الصَّحيحة الصَّريحة، ولا يتسع المقام لذكر ذلك[1].

وقد قرر الفقهاء قاعدةً من القواعد الفقيهة تقول: "الإيثار في القُرب مكروهٌ وفي غيرها محبوبٌ" ومعنى هذه القاعدة أن يُقدم المسلمُ أخاه في أمرٍ من الأمور الدينية التي يُتقرب بها إلى الله ـ تعالى ـ. قال السيوطي: "القاعدة الثالثة: الإيثار في القُرَب مكروهٌ، وفي غيرها محبوبٌ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

قال الشيخ عزّ الدّين بن عبد السلام: "لا إيثار في القُرَبات، فلا إيثار بماء الطهارة ولا بستر العورة ولا بالصفّ الأول، لأن الغرض بالعبادات التعظيم والإجلال، فمن آثر به فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه". وقال الإمام: "لو دخل الوقت ـ ومعه ماء يتوضأ به ـ فوهبه لغيره ليتوضأ به لم يجز، لا أعرف فيه خلافاً، لأن الإيثار إنما يكون فيما يتعلق بالنّفوس، لا فيما يتعلق بالقُرَب والعبادات". وقال النوويّ في باب الجمعة: "لا يُقام أحدٌ من مجلسه ليُجلس في موضعه، فإن قام باختياره لم يكره، فإن انتقل إلى أبعد من الإمام كره، قال أصحابنا: لأنه آثر بالقُرَبة".

وقال القرافيّ: "من دخل عليه وقت الصلاة، ومعه ما يكفيه لطهارته، وهناك من يحتاجه للطهارة، لم يجز له الإيثار، ولو أراد المضطرُّ إيثارَ غيره بالطعام لاستبقاء مهجته، كان له ذلك وإن خاف فوات مهجته. والفرق أن الحق في الطهارة لله فلا يسوغ فيه الإيثار، والحقّ في حال المخمصة لنفسه، وقد عُلم أن المهجتين على شرف التلف إلا واحدةً تستدرك بذلك الطعام، فحسن إيثار غيره على نفسه". قال: ويقوي هذا الفرق مسألة المدافعة: وهي: أن الرجل إذا قصد قتله ظلماً وهو قادر على الدفع، غير أنه يعلم أن الدفع ربما يقتل القاصد، فله الاستسلام"[2].

---

1 https://dorar.net/akhlaq/160

2 الأشباه والنظائر ص 116.

وقال إمام الحرمين الجويني: "لا يجوز التبرعُ في العبادات، ويجوز في غيرها"[1]. وقال الإمام العز بن عبد السلام: "لا إيثار في القُرَبات، فلا إيثار بماء التيمم، ولا بالصف الأول ولا بستر العورة في الصلاة، لأن الغرض بالعبادات التعظيم والإجلال، فمن آثر به فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه، فيصير بمثابة من أمره سيده بأمرٍ فتركه، وقال لغيره: قُم به، فإن هذا مُستقبحٌ عند الناس، لتباعده من إجلال الآمر وقُربه"[2].

قال الشيخ ابن القيم: "وكذلك كره الإمام أحمدُ التأخرَ عن الصف الأول وإيثار الغير به، لما فيه من الرغبة عن سبب الثواب، قال أحمد في رواية حنبل، وقد سئل عن الرجل يتأخر عن الصف الأول ويقدم أباه في موضعه قال: ما يعجبني هو يقدرُ أن يبرَّ أباه بغير هذا"[3]. وقال المرداوي: "وقال أحمد فيمن يتأخر عن الصف الأول لأجل أبيه لا يعجبني هو يقدر يبر أباه بغير هذا"[4].

وذكر الشيخ العثيمين أن: "الإيثار بالقُرَب على نوعين: النوع الأول: القُرَب الواجبة: فهذه لا يجوز الإيثار بها، ومثاله رجل معه ماء يكفي لوضوء رجل واحد فقط، وهو على غير وضوء، وصاحبه الذي معه على غير وضوء ففي هذه الحال لا يجوز أن يؤثر صاحبه بهذا الماء؛ لأنه يكون قد ترك واجباً عليه وهو الطهارة بالماء، فالإيثار في الواجب حرام.

وأما الإيثار بالمستحب فالأصل فيه أنه لا ينبغي، بل صرح بعض العلماء بالكراهة، وقالوا: إن إيثاره بالقُرَب يفيد أنه في رغبةٍ عن هذه القُرَب، لكن الصحيح أن الأولى عدم الإيثار، وإذا اقتضت المصلحة أن يؤثر فلا بأس، مثل أن يكون أبوه في الصف الثاني وهو في الصف الأول، ويعرف أن أباه من الرجال الذين يكون في نفوسهم شيءٌ إذا لم يقدمهم الولد، فهنا نقول: الأفضل أن تقدم والدك، أما إذا كان من الآباء الطيبين الذين لا تهمهم مثل هذه الأمور فالأفضل أن يبقى في مكانه،ولو كان والده في الصف الثاني، وكذلك بالنسبة للعالم"[5].

---

1 فتح الباري 90/10.
2 القواعد الكبرى 259/1.
3 الروح 123/1.
4 الإنصاف 400/3.
5 لقاءات الباب المفتوح 22/35.

ومما يدل على أن الإيثار بالقُرَب مكروهٌ ما ورد في الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ـ رضي الله عنه ـ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ فَقَالَ لِلْغُلَامِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ الْغُلَامُ لَا وَاللَّهِ لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ"[1].

قال الإمام النووي: "وَقَوْلُهُ: (فَتَلَّهُ فِي يَدِهِ) أَيْ وَضَعَهُ فِيهَا... وَقَدْ نَصَّ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُؤْثَرُ فِي الْقُرَبِ، وَإِنَّمَا الْإِيثَارُ الْمَحْمُودُ مَا كَانَ فِي حُظُوظِ النَّفْسِ دُونَ الطَّاعَاتِ، قَالُوا: فَيُكْرَهُ أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ بِمَوْضِعِهِ مِنَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَكَذَلِكَ نَظَائِرُهُ"[2]. وينبغي أن يُعلم أن هذه القاعدة قد وقع فيها الخلاف بين أهل العلم، فقد ذكر الشيخ ابن القيم أن بعض العلماء أجازوا الإيثار بالقُرَب ورجح الجواز فقال: وقول مَن قال من الفقهاء: لا يجوز الإيثار بالقُرَب، لا يصح.

وقد آثرتْ عائشةُ عمرَ بن الخطاب بدفنه فى بيتها جوار النبي ﷺ، وسألها عمرُ ذلك، فلم تكره له السؤال ولا لها البذلَ. وعلى هذا، فإذا سأل الرجلُ غيره أن يؤثره بمقامه في الصف الأول، لم يُكره له السؤال، ولا لذلك البذل، ونظائره.

ومَن تأمل سيرةَ الصحابة، وجدهم غيرَ كارهين لذلك، ولا ممتنعين منه،وهل هذا إلا كرمٌ وسخاءٌ، وإيثارٌ على النفس بما هو أعظمُ محبوباتها تفريحاً لأخيه المسلم، وتعظيماً لقدره، وإجابة له إلى ما سأله، وترغيباً له في الخير، وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحاً على ثواب تلك القُرَبة، فيكون المؤثر بها ممن تاجر، فبذل قُرْبةً، وأخذ أضعافها، وعلى هذا فلا يمتنع أن يُؤثر صاحب الماءِ بمائه أن يتوضأ به ويتيمم هو إذا كان لا بُد من تيمم أحدهما، فآثر أخاه، وحاز فضيلة الإيثار، وفضيلة الطُّهر بالتراب، ولا يمنع هذا كتابٌ ولا سُنَّةٌ، ولا مكارمُ أخلاق، وعلى هذا فإذا اشتدَّ العطشُ بجماعةٍ، وعاينوا التلف ومع بعضهم ماء، فآثر على نفسه، واستسلم للموت، كان ذلك جائزاً، ولم يقل: إنه قاتلٌ لنفسه، ولا أنه فعل مُحَرَّماً، بل هذا غايةُ الجود والسخاء كما قال ـ تعالى ـ:

---

1 رواه البخاري ومسلم.

2 شرح النووي على صحيح مسلم 201/13.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة في فتوح الشام، وعُدَّ ذلك من مناقبهم وفضائلهم، وهل إهداءُ القُرَب المجمَع عليها والمتنازَع فيها إلى الميتِ إلا إيثارٌ بثوابها، وهو عَيْن الإيثار بالقُرَب، فأي فرقٍ بين أن يُؤثره بفعلها ليحرز ثوابَها، وبين أن يعمل، ثم يؤثره بثوابها"[1].

وقال ابن نجيم الحنفي بالجواز أيضاً: "وَإِنْ سَبَقَ أَحَدٌ بِالدُّخُولِ إلَى الْمَسْجِدِ مَكَانَهُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَدَخَلَ رَجُلٌ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا أَوْ أَهْلُ عِلْمٍ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ وَيُقَدِّمَهُ تَعْظِيمًا لَهُ"[2].

ومثله قال ابن عابدين: "في حاشية الأشباه للحمويّ عن المضمرات عن النصاب: وإن سبق أحدٌ إلى الصفّ الأول، فدخل رجلٌ أكبر منه سنّاً أو أهل علمٍ، ينبغي أن يتأخر ويقدّمه تعظيماً له.أ.هـ. فهذا يفيد جواز الإيثار بالقُرَب بلا كراهةٍ، ونقل العلامةُ البيريّ فروعاً تدلّ على عدم الكراهة، ويدلّ عليه قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ "[3].

وبعد تتبع كلام أهل العلم في هذه القاعدة وما تفرع عليها من الفروع الفقهية أُرجحُ أن المسألة فيها تفصيلٌ كما يلي:

(أ) لا يجوز الإيثارُ بالفرائض، فلا يجوز لشخصٍ أن يؤثر غيره في فريضةٍ من فرائض الله كفريضة الحج، فلا يجوز للولد أن يتنازل عن دوره في الحج لوالده كما في السؤال، لأن ذلك يعني تركَ واجبٍ، وهذا أمرٌ محرمٌ شرعاً، فعلى الولد أن يحج حجة الإسلام، ويعتبر والده الذي لم يخرج اسمه في القرعة غير مستطيعٍ للحج، ومعلوم أن الاستطاعة شرطٌ لوجوب الحج.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾ [4].

---

1 زاد المعاد في هدي خير العباد 506/3.
2 البحر الرائق شرح كنز الدقائق 419/3.
3 حاشية ابن عابدين 382/1.
4 سورة آل عمران الآية 97.

(ب) إذا أدى الإيثار إلى ترك أمرٍ مندوبٍ فهو مكروهٌ، كمن يتأخر من الصف الأول فيقدم غيره ليقف مكانه. قال السيوطي:...وقال الخطيب في الجامع: كره قوم إيثار الطالب غيره بنوبته في القراءة، لأن قراءة العلم والمسارعة إليه قربة، والإيثار بالقُرَب مكروه" انتهى. وقد جزم بذلك النووي في شرح المهذب، وقال في شرح مسلم: الإيثار بالقُرَب مكروه، أو خلاف الأولى، وإنما يستحب في حظوظ النفس، وأمور الدنيا.

قال الزركشي: وكلام الإمام ووالده السابق ـ أي إمام الحرمين ووالده- يقتضي أن الإيثار بالقُرَب حرام، فحصل ثلاثة أوجه. قلت: ليس كذلك، بل الإيثار إن أدى إلى ترك واجب فهو حرام: كالماء، وساتر العورة، والمكان في جماعة لا يمكن أن يصلي فيه أكثر من واحد ولا تنتهي النوبة لآخرهم إلا بعد الوقت، وأشباه ذلك. وإن أدى إلى ترك سنة، أو ارتكاب مكروه فمكروه، أو لارتكاب خلاف الأولى، مما ليس فيه نهي مخصوص، فخلاف الأولى وبهذا يرتفع الخلاف"[1]. وما رجحه السيوطي والشيخ العثيمين وبعض المعاصرين بالتفصيل المذكور هو المعتمد في هذه المسألة.

ويمكن أن أقول تخريجاً على استثناء الإمام مالك في قوله: أُحبُ لأهل المدينة إذا حضر الحجاج أن يتقاصروا عن الروضة الشريفة وتطبيقاً لما قاله الشيخ العثيمين بأنه إذا اقتضت المصلحة أن يؤثر فلا بأس، أقول إنه ينبغي لأهل بيت المقدس أن يتقاصروا عن الصلاة داخل المسجد الأقصى المبارك في رمضان وأن يكتفوا بالصلاة في ساحاته ويتركوا المسجد القبلي ومسجد قبة الصخرة لإخوانهم القادمين من مختلف مناطق فلسطين.

ومن لطائف ما ورد في ترك الإيثار في الواجبات ما ذكره الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في قصة سعد بن خيثمة ـ رضي الله عنهما ـ وكان أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، أنه لما ندب النبيُ ﷺ المسلمين يوم بدر فأسرعوا، قال خيثمة لابنه سعد: آثرني بالخروج، يا بني تعلم أنه ليس مع النساء من يحميهن، وأريد أن تبقى معهن، فأبى، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، فاقترعا فخرج سهم سعد فخرج واستشهد ببدر، واستشهد أبوه خيثمة يوم أُحد.

---

1 الأشباه والنظائر ص 116-117.

وينبغي للمسلم أن يبادر إلى فعل الطاعات والأعمال الصالحة، وأن لا يؤخرها ومنها فريضة الحج، وخاصة أنه يوجد صعوبات كثيرة في الخروج للحج في بلادنا، حيث إنه يتمُّ بالقرعة، وهنالك عقبة من الاحتلال بالمنع من السفر، يقول ـ تعالى ـ:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[2].

وقال بعض السلف: "مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ" ذكره في مسند الشهاب، وروي مرفوعاً ولكنه لم يصح.

المرجعيات الدينية المقدسية
ما لها وما عليها

الشيخ الدكتور محمد سليم محمد علي
إمام وخطيب المسجد الأقصى المبارك
الأمين العام لهيئة العلماء والدعاة/فلسطين

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[3].

---

1 سورة آل عمران الآية 133.
2 سورة الحديد الآية 21.
3 سورة الزمر، الآية 9.

هذه الآية خطاب للنبي محمد ﷺ فيها ثناء من الله ـ تعالى ـ لمن كان عالما بدين الله الشرعي ودينه الجزائي، وما يكون من حكم وأثار وأسرار وبين من يجهل ذلك.

والآية تحث كل صاحب عقل، وكل من يحترم نفسه وشخصه كإنسان أن يرفع من شأنه بالعلم الديني الذي أثره بالخير كله يظهر في الدنيا والآخرة،فإن لم يصل إلى هذه المرتبة من العلم الديني وجب عليه أن يوقر العالم العامل بالدين، وأن يقتدي به ويأخذ منه، ويقف إلى جانبه، لأن في ذلك نصرة للعلم الديني وللدين نفسه ولشرع الله، وما يكون لهذا الشرع من مقدسات وأماكن توجب الحفاظ عليها ليبقى علماء الدين المنارة التي يسترشد بها السارون في ظلمات الجهل والضلال.

وعلماء الدين الإسلامي وصفهم الله بأنهم ربانيين، وجعل صفة الرباني للعالم العالم العامل الصابر الداعي القدوة، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1].

ومنذ مئات الأعوام صار يطلق على العالم لقب الشيخ، وصارت هذه الصفة خاصة به مع أنها في اللغة تطلق على الكبير في السن، وهي صفة مدح لا صفة قدح، فالعالم العامل له من الاحترام كما لكبير السن من الاحترام، ويزيد عليه احترام العالم لعلمه وعمله وكونه قدوة للناس، وفي الآونة الأخيرة صار يطلق على العالم المرجع الديني، وهذه الصفة للعالم أطلقت على علماء الشيعة، وهم ليسوا قدوة لنا في هذا، لكن ما دام الناس في القدس أطلقوا لقب المراجع الدينية على علمائها فأرى أن لا بأس بذلك، بل هو أمر مطلوب في الظروف الحالية التي يعيشها أهل القدس، لأن هذا اللقب لعلماء القدس يعني لدى العامة من الناس أنهم الجهة الرسمية والمرجعية المعتبرة لهم والتي يجب أن يسار خلفها ويقتدى بها ويؤتمر بأمرها، وهذه من أفضل الخطوات التي يتخذها أهل القدس، لأننا نحتاج في القدس إلى أهل العلم بالدين والقدوة لنسير خلفهم، وبخاصة أن الظروف التي يعيشها المسجد

1 سورة آل عمران، الآية 79.

الأقصى تحتاج إليهم، فبهم ومع عامة الناس يتم الحفاظ على المسجد الأقصى مما يراد له من تقسيم أو هدم، وبدونهم تصير الأمور إلى فوضى ونهايتها ضياع ثلث مقدسات الإسلام وهو المسجد الأقصى المبارك، ولا مانع من تحديد المرجع الديني في القدس حتى لا تختلط الأمور على الناس فيها.

فأول هذه المراجع دائرة الأوقاف الإسلامية التابعة للمملكة الأردنية، وهي المرجع الديني المعنوي الذي ينبغي أن نعض عليه بالنواجذ، ومن الجهل أو النفاق أن يشار إلى هذا المرجع الديني باللمز أو الطعن، فهذا المرجع أعني دائرة الأوقاف الإسلامية يعمل ليل نهار من أجل الحفاظ على الوقف في القدس بنوعيه، وعلى رأسه المسجد الأقصى المبارك، وعمله هذا على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، ولهذا أنصح الجهال ممن لا يعرفون الجهود التي يبذلها هذا المرجع الديني أن لا ينساقوا وراء المنافقين المغرضين الذين يطعنونه ويلمزونه، فنحن في مرحلة العمل والتوحد والعمل معا وليس في مرحلة التسيب والانجرار وراء الأهواء والشهوات، ومن طعن أو لمز فعليه وزره في الدنيا والآخرة.

وأما المراجع الدينية الأخرى المعتبرة فيمكن حصرها بعد دائرة الأوقاف الإسلامية بالهيئة الإسلامية العليا وعلمائها، وبهيئة العلماء والدعاة ببيت المقدس وعلمائها، وبالمحكمة الشرعية التابعة للأردن وعلمائها من القضاة الأجلاء، ثم كل عالم بالدين وعامل وقدوة، يقتفي أثر تلك المراجع الدينية المقدسية ويسير في ظلها وتحت رايتها ويسترشد بمواقفها.

وعليه فإن هذه المراجع الدينية المقدسية المعتبرة يتوقع منها أن تزيد من حجم فعاليتها للمحافظة على الأقصى والوقف في القدس، وأن تضع لها برنامجا موسعا للدعوة الشاملة لفقه الرباط والحض عليه علما وعملا، وأن يكون التواجد في المسجد الأقصى وبخاصة في ساعات ما قبل الظهر بشكل يومي فيه.

وأما دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس فيفترض أيضا إضافة إلى جهودها المباركة في الحفاظ على الوقف والمقدسات أن تشغل رحاب المسجد ألأقصى بدروس العلم مع التأكيد للعالم والمتعلم أنها دروس علم حتى تستمر، وفي هذا فوائد عديدة منها فتح المجال أمام خريجي الشريعة الإسلامية من التوظيف كمدرسين في

رحاب المسجد الأقصى إضافة إلى تواجد الناس في هذه الحلقات التي تكون تحت إشراف ورعاية الدائرة.

ويمكن أيضا توظيف دعاة متجولين في رحاب المسجد الأقصى لدعوة الناس من الزائرين على الالتزام بالمحافظة على قدسية الأقصى، وكذلك المباني المسقوفة المحجوزة للبعض وغير المشغولة بشكل فعلي من المتوقع من الدائرة إشغالها بشكل حقيقي حتى لا تتفاجأ بطمع الاحتلال بالسيطرة عليها ويمكن لدائرة الأوقاف للتخفيف من العبء المالي المتعلق بالوظائف المستجدة التي أدعو إليها أن تحث الناس على إنشاء الوقفيات العلمية والوصايا الشرعية للمسجد الأقصى خاصة، ولهذه المستجدات بالذات.

أما ما للمرجعيات الدينية من حق على الناس فهو احترامها واتباعها وعدم الطعن واللمز بها، فهي الحضن الذي يجب أن نأوي إليه وبخاصة في غياب المرجعيات السياسية التي كان من المفروض أن تكون لتحفظ القدس والمقدسات فيها، ولا بد هنا من تقديم النصيحة لبعض العوام الذين يستخدمون قنوات التواصل الاجتماعي للغمز والطعن في المرجعيات الدينية المقدسية على اختلافها أن يقلعوا عن ذلك فمثل هذا الطعن واللمز يكشف خبايا نفوسهم من الجهل أو النفاق، ونعوذ بالله من هاتين الصفتين.

والحمد لله رب العالمين

معالمُ إسلامية على جبل الزيتون

بشير بركات ـ القدس

اكْتَسبَ جبلُ الزيتون أهمَيتَهُ عَبْر التاريخ لإطلالِهِ على بيت المقدس كافّة وخاصّة على المسجد الأقصى. وهو طَوْدٌ عظيمٌ قائمٌ شرقي بيت المقدس، ويبلغ ارتفاعُه 826م. وقد عسْكرَ عليه كلٌّ من عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي ـ رضي اللهُ عنهما ـ عند فتحهما لبيت المقدس.

وقد نشأتْ عليه قريةُ الطور، التي وَقفَ أحمد بن أبي بكر الهكاري وعلي ابن أحمد الهكاري نصفها على ذُرِّيَّتَيْهما ثم على الفقراء عام 584هـ/1188م. وكانت هذه القرية تُدعى "طور زيتا" حتى القرن الثاني عشر الهجري. وقد بلغ عدد سكانها 2090 نسمة عام 1350هـ/1931م، وارتفع إلى 3500 نسمة عام 1370هـ /1951م في أعقاب النكبة، ثم إلى 6500 نسمة عام 1404هـ/1984م، فيما أصبحت الآن حيًّا من أحياء بيت المقدس يتجاوز عدد سكانه 12000 نسمة. ويَضُمُّ حيُّ الطورِ أكبر مستشفيَيْن في شرق المدينة، وفيه أيضًا مساجد وكنائس ومقابر عدة لمختلف الطوائف.

وفيما يأتي وصفٌ لأهم معالمه الإسلامية:

مقام رابعة العدوية:

يقع مقام رابعة العدوية جنوبي جبل الزيتون أسفل المسجد الأسعدي. وصَفَهُ مجير الدين الحنبلي فقال: "وهو في زاويةٍ يُنزَل إليها من درج، وهو مكانٌ مأنوسٌ يُقصَد بالزيارة".

وفي العهد العثماني بُنِيتْ غرفةٌ واسعةٌ فوق مدخل الدرج المذكور، وفيها محرابٌ تعلوهُ نافذةٌ صغيرةٌ، ويفوه بابُها غربًا، حيث يتجه الزائر شرقًا فينَزِل على الدرج الذي ذكره مجير الدين نحو غرفةٍ صغيرةٍ يقع فيها المقام. وهو مجرَّدُ تذكارٍ للسيدة رابعة العابدة الزاهدة (ت 135هـ/752م)، أما قبرها الحقيقي فمشهورٌ في البصرة.

ولم يَذكُر مجير الدين شَيئًا حول رعاية هذا المقام في العهد المملوكي، إلا أن العثمانيين اعتنوا به، حيث ورد في سجلات المحكمة أن محمد بن بهاء الدين محمد الحسباني عُيِّنَ عام 972هـ/1564م في وظيفة النظر والتولية على المقام المذكور. وعُيِّنَ شاهين بن قاسم الطوري عام 1056هـ/1646م في وظيفة الخدمة والفراشة في المقام عِوَضًا عن ابن عمه محمود بن خليل الطوري بحُكْمِ وفاته. وعُيِّنَ عبد القادر بن خليل الحسباني عام 1111هـ/1700م في وظيفة خدمة المقام عِوَضًا عن ابن أخيه موسى بن محارب الحسباني. ثم تولَّت عائلة العلمي سدانة المقام، وما زال تحت إشرافها حتى يومنا هذا.

الـمسجد الأسعدي:

يُنسب المسجدُ الأسعدي الواقع فوق مقام رابعة العدوية إلى شيخ الإسلام أسعد أفندي بن سعد الدين التبريزي (ت 1034هـ/1624م). ويُبْرِز النقشُ التأسيسي فوق مدخل المبنى اسم المؤسس وتاريخ البناء في عام 1024هـ/1615م. وقد ورد في سجلات المحكمة أن أسعد أفندي وصل إلى بيت المقدس في 27 صفر 1024هـ وَفْقَ 27 آذار 1615م في طريق عودته بعد أداء فريضة الحج، ثم غادر إلى إستانبول في 19 ربيع الأوَّل 1024هـ وَفْقَ 18 نيسان 1615م، ويُستدَل أنه أمَرَ بإنشاء المسجد خلال إقامته المذكورة ببيت المقدس.

وقد عُرِفَ المبنى بالمسجد منذ تشييده حسب ما ورد في وقفيته. وفي عام 1034هـ/1625م تنازل الدرويش إبراهيم بن محمد الرُّومِيّ عن حصتِه من طعام العمارة العامرة[1] للفقراء المجاورين بالمسجد الأسعدي كما عُرِف بالمدرسة أيضًا. ففي عام 1060هـ/1650م وقَفَ قاضي بيت المقدس عبد الرحيم أفندي مصحفًا على "مسجد المدرسة الأسعدية بطور زيتا". وعُرف أيضًا بالزاوية، ففي عام 1067هـ/1657م خَصَّصَ قاضي بيت المقدس طعامًا "للفقراء المجاورين بالزاوية الأسعدية الكائنة بطور زيتا بظاهر القدس الشريف" وغلَبتْ تسميتُه بالزاوية لاحقًا.

1 وهي مجمع خاصكي سلطان في عقبة التكية. وكانت تضم مسجداً ومطبخاً ضخماً وخاناً واسعاً. وكان طعام المطبخ يوزَّع مجاناً على الفقراء والمستورين.

الـمسجد الأسعدي وتحته مقام رابعة العدوية عام 1285هـ/1868م.
(الـمصدر: مجموعة أدريان بونفيس)

وكان "محمد بيك ميرلوا[1] القدس الشريف" قد وَقفَ في 1 محرم 1026هـ/ 1617م لدى "مولانا الشيخ رضي الدين"[2] أراضٍ عدة في طور زيتا، كان قد اشتراها سابقًا من أهالي القرية وبيت المقدس وسلوان، وتشمل غِراسًا يعرف بالقِعدة[3] وغراسًا غربي المسجد الأسعدي وغراسين آخرين وحاكورة "والدويرة الصغيرة القائمة البناء" شرقي المسجد الأسعدي وذلك لشراء طعامٍ "للفقراء والمجاورين والواردين إلى المسجد الأسعدي".

وفي 27 محرم 1033هـ/1623م سُجِّلتْ وقفيةُ "مولانا أبو سعيد أسعد أفندي المفتي الأعظم بدار السلطنة السنية" لدى قاضي بيت المقدس "محمد أفندي ابن

---

1 مشتقة من أمير اللواء، أي المحافظ.

2 لم أعثر على نائبٍ في المحكمةِ سُمّي بذلك إذّاك سوى رضي الدين بن أبي اللطف (ت 1028هـ/1619م).

3 وهي أرضٌ وقفيةٌ تقع في الجهة الجنوبية من جبل الزيتون. وقع خلاف بين المحكمة الشرعية في القدس وأهالي الطور حول ملكيتها بعد النكبة حيث ثبتت ملكيتها لدائرة الأوقاف وبُنِي عليها فندق.

محمود الحسيني" على مصالح المسجد الأسعدي الذي أنشأه بالطور، حيث شَمِلَتْ الوقفية مجمعًا سكنيًّا كبيرًا وطاحونًا يحدهما شمالًا "ساحةٌ كبيرةٌ بيد الواقفِ المشار إليه ليبني بها خانًا للمسافرين" بخط مَرْزُبان[1]، وفرنًا بمحلة بن يزيد[2] وغراسًا بأرض الطور.

وقد عَيَّنَ أسعدُ أفندي الشيخَ محمد بن سراج الدين العلمي شيخًا وناظرًا على الوقف المذكور، وشَرَطَ أن تكونا لابنه عبد القادر وذُرِّيَّته من بعده. وشرَطَ أيضًا أن تكون التولية عليه لمصطفى بن محمد باشا المذكور ثم لذُرِّيَّته من بعده. ولأهمية الوقفية شهد عليها كل من زكريا مفتي الحنفية وإسحق بن أبي اللطف مفتي الشافعية ومحمد العفيفي وأبو الهدى وخير الدين الجاعوني ومصطفى العلمي وطه الديري وصالح الدهان وهبة الله الديري وزكريا الديري.

وفي عام 1112هـ/1700م أذِن القاضي شريف أفندي لمصطفى العلمي (ت1133هـ/1720م) ناظر الوقف ولإسحق بك حفيد محمد باشا ومتولي وقفه المذكور باستبدال دكانَيْن يقعان بخط اود جاريين في وقف الزاوية بنصف دار قاسم الترجمان.

وقد عُـيِّنَ الشيخ عبد القادر العلمي (ت 1079هـ/1668م) في وظيفتَيْ المشيخة والنظر على الزاوية ووقْفها، ثم تنازل عنهما في عام 1060هـ/1650م لولديه عبد الحيّ وعبد الباقي ولولدي أخيه عبد الصمد، وهما عمر وأبو الوفا.

وبعد وفاة أبو الوفا عام 1109هـ/1697م عُيِّنَ ابنه الأكبر مصطفى المذكور أعلاه في وظيفة المشيخة والنظر على الزاوية، فاحتجَّ إخوته الآخرون على ذلك، فأصدر قاضي بيت المقدس حكمه الآتي[3]: "قرَّرتُ بما فيه بينهم على السوية، بناءً على عادة بلدتهم السنية، حرَّره العبد الراضي لما قضى ربُّه في الماضي محمد عطا

---

1 كان يُطلق على الطريق الممتد من سوق القطانين حتى مفرق سوق خان الزيت وسوق العطارين. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2: 53).

2 وهي الجزء الشمالي من حارة السعدية على حدود سور المدينة. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2: 54).

3 نقلتُها بحروفها على ما فيها من أخطاء.

الله القاضي بالقدس الشريف عفا عنه ربه اللطيف. لمّا توفي المرحوم الدارج إلى رحمة الملك القيوم العالم الرباني الشيخ أبو الوفا أفندي العلمي، وترك وظيفة حصته السنية من المشيخة والنظر على الزاوية الأسعدية، الكاينة بطور زيتا ظاهر القدس الشريف، التي أنشأها المرحوم علامة الروم شيخ الإسلام أسعد أفندي، وعليه أوقافها وما يتبعها، وبقي حُصته في المشيخة والنظر خاليا، قرّر المولى الحاكم الشرعي ذلك الحصة لابنه الكبير الشيخ مصطفى أفندي بطلبه وأذِن له بمباشرة الخدمة المزبورة. وبعد ذلك حضر إلى المجلس الشرع الشريف السيد شيخ محمد أفندي وشيخ سيد فيض الله أفندي، قالا إنّ عادة بلدتنا إذا مات الرجل يكون أولاده الذكور مشاركًا في وظيفة أبيهم على السوية، وطلبا من الحاكم الشرعي مشاركتهما مع أخيهما في حصة المشيخة والنظر على زاوية الأسعدية. سأل الحاكم الشرعي من المشايخ والأعيان، وأخبروا بما قالا، وقالوا: كُتُب الحجج باتفاق أهل البلد على أن من مات يكون أولاده الذكور مشاركًا في وظيفة أبيهم على السوية. فتأمل المولى الحاكم الشرعي عامله الله بلطفه الخفي والجلي، وقرر حصة مشيخة زاوية الأسعدية ونظرها إليهم على السوية، وهم الشيخ مصطفى أفندي والشيخ السيد محمد أفندي والسيد شيخ فيض الله أفندي أولاد المرحوم أبو الوفا أفندي العلمي بحُكْمِ وفاته إلى رحمة الله ـ تعالى ـ وأذن لهم بمباشرة الخدمتين المزبورتين على وجه الاشتراك بالسوية بينهم إذنًا شرعيًّا، وحُرِّر في ذي القعدة لسنة تسع ومائة وألف".

وفي عام 1126هـ/1714م تنازل مصطفى العلمي لولديه أبو الفضل وعبد الغني عن مشيخة الزاوية. وآلت أيضًا إلى فيض الله بن أبي الوفا بن عبد الصمد العلمي (ت 1170هـ/1756م) وابنه محمد شحادة (ت 1173هـ/1760م) ومازال عقبهم يتوارثها حتى أصبح المسجد يُعرَف بزاوية الشيخ محمد العلمي.

وقد جُدِّد بناءُ المسجد في عام 1099هـ/1688م، ثم في عام 1143هـ/1730م ويشير نقشٌ مثبتٌ أسفل النقش التأسيسي إلى أن الشيخ صالح العلمي بنى رِواقا للمسجد عام 1323هـ/1905م. كما رُمِّم المسجد تارة أخرى عام 1341هـ/1923م. وتبلغ مساحته 66م^2.

مصعد عيسى عليه السلام:

يقع ما يسمى بمصعد عيسى ـ عليه السلام ـ شمال شرقي المسجد الأسعدي وهو عبارة عن ساحةٍ دائريةٍ مكشوفةٍ تتوسطها قبةٌ عاليةٌ. وعلى أرضية القبة صخرةٌ صغيرةٌ على شكل قدمٍ ضخم. وفي أطراف الساحة قواعد أعمدة من بقايا كنيسةٍ مهدومةٍ في الموقع، ذكر مجير الدين أنها هيلانية، وقالAinsworth في كتابه الصادر عام 1292هـ/1875م أنَّ هيلانة بَنَتْ كنيسةً في الموقع ولكن بدون سطح، وأضاف أن الصخرة تضُمُّ أثرَا القدم اليسرى، وقيل له إن الأتراك نزعوا أثَرَ القدم اليمنى ونقلوه إلى مسجد قبة الصخرة. وقد أشكل الأمر على أمين حافظ الدجاني (ت1422هـ/2001م) فخلطَ بين الكنيسة المهدومة والقبة القائمة حاليًا، فقال عن القبة نفسها: "وهو كنيسةٌ صليبيةٌ ذات اثني عشر ضلعًا تمتاز بأعمدتها اللطيفة وتيجانها الصليبية، التي يُحكم عليها كذلك من النقوش الحيوانية عليها. وفي ضلعها القبلي محرابٌ يدل على تحويل الكنيسة إلى جامعٍ بعد الفتح الصلاحي".

فالكنيسة الكبيرة التي كانت في موقع الساحة هُدِمتْ قبل عصر مجير الدين، أما القبة فقد استُحدِثتْ وسط الموقع بعد الفتح الصلاحي، قال مجير الدين: "وفي وسطها قبةٌ يقال أنها مصعد عيسى ـ عليه السلام ـ وقد استُهدمت الكنيسة". أما الأعمدة اللطيفة التي ذكرها الدجاني فهي أعمدةٌ صغيرةٌ تقوم عليها الأقواس الخارجية في مبنى القبة المذكورة. وقد جَرَتْ العادة عند تشييد المباني بإعادةِ استخدامِ أعمدةٍ وحجارةِ مبانٍ مهدومة. وقد تكون تلك الأعمدة من بقايا بناء صليبي كان قائمًا في الموقع.

وقد عثرتُ في سجلات المحكمة على حُجَّةٍ تدلُّ على أن القبَّة القائمة حاليًا بُنيتْ خلال الحكم المصري. ففي عام 1250هـ/1834م "في اليوم السادس عشر من محرم الحرام حصلتْ الزلزلة العظيمة... ومن الجملة انهدمتْ قبَّةُ المصعد مع أركانها، الواقع به أثرُ قدَمِ سيّدنا عيسى ـ عليه السلام ـ الكائن ظاهر القدس الشريف من الجهة الشرقية بقرية طور زيتا بحذا زاوية... الشيخ محمد العلمي... فرهبان الإفرنج القاطنين بالقدس الشريف باشروا وابتدوا بتعمير القبة المزبورة، حيث أنّ تعميرها مخصوصٌ فيهم من قديم الزمان بموجب سندٍ شرعيّ من سلفنا جناب عبد الله أفندي القاضي بالقدس الشريف إذْ ذَاك، مؤرخاً في 15 شعبان سنة 1190". فالمحراب المذكور أصليٌ وغير مستحدثٍ في البناء الحالي.

وقد بقي الموقع تحت تصرُّفِ الدَّولـةِ خلال العهد العثماني، حيث عُيِّنَ محمد ابن بهاء الدين محمد الحسباني عام 972هـ/1564م في وظيفة النظر والتولية على المصعد.

وفي عام 1056هـ/1646م عُيِّنَ شاهين بن قاسم الطوري في وظيفة الخدمة والفراشة بالمصعد عِوَضًا عن ابن عمه محمود بن خليل الطوري. وفي عام 1071هـ/1661م عُيِّنَ محمد بن إبراهيم بن محمد زيتون في وظيفة الخدمة في مقام قدم عيسى عِوَضًا عن والده بحُكْمِ وفاته.

وفي عام 1150هـ/1738م عُيِّنَ "خليل أبو الهوى وجماعته وأحمد الصياد وجماعته وعلي وجماعته ومشعل وجماعته وإسماعيل وجماعته والحاج محمد جمعة وجماعته وسالم الجغيلي وجماعته وصبح وجماعته وأحمد بن غانم وجماعته الجميع من أهالي قرية الطور في وظيفة البَوابة بالمصعد الكائن بجبل الطور بمقتضى براءةٍ شريفة". ثم استقرت الوظيفة لعائلة أبو غنام، ومازالت كذلك حتى اليوم وحول قُدسية ذاك المكان لدى النصارى قال مجيرُ الدين: "والنصارى يُعظِّمون هذا المكان تعظيمًا زائدًا". وقال الدجاني: "ويحتفل المسيحيون احتفالًا رائعًا بخميس الصعود فيأتي جميع الطوائف من كل جهةٍ ويقيمون الصلوات هناك ولكل طائفةٍ مكانٌ خاصٌ لعبادتها".

قبة المصعد وسط الساحة المكشوفة

(تصوير فيليكس بونفيس حوالي عام **1292هـ/1875م**)

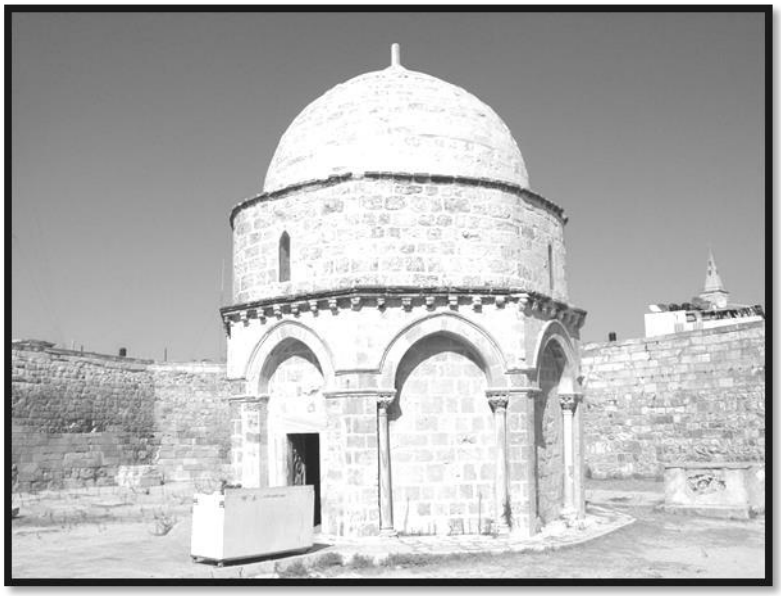

قبة المصعد عام **1425هـ/2004م**. (تصوير الباحث)

وأخيرًا، أشير إلى أنَّ بعض أساتذة الجامعات المقدسيين يخلطون بين قبَّة المصعد وكنيسة الصعود. فقبة المصعد هي التي ذكرتُها آنفًا، وأما كنيسة الصعود فقد شيَّدها الروس شرقيّ المصعد وجنوبيّ مقبرة الطور الإسلامية عام 1303هـ/ 1886م، وبجوارها جرسيةٌ شاهقةٌ يبلغ ارتفاعُها 4000 قدم وتطلُّ على البحر الميت.

مسجد سلمان الفارسي:

يقع هذا المسجد شرقي جبل الزيتون بجوار مقبرة القرية. وكان في الأصل مزارًا للصحابي سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وقد عُيِّنَ أحمد بن تاج الدين ابن ميران ناظرًا عليه عام 983هـ/1575م وتوَجَّهَ إلى قاضي بيت المقدس عام 986هـ/ 1578م ليُثبِّت حقَّه في تلك الوظيفة لأن "مزار سيدنا سلمان الفارسي ـ رضوان الله عليه ـ الكائن بجبل الطور ظاهر مدينة القدس الشريف مُشارفٌ على الخراب وليس له بابٌ ولا قناديل".

وتُشير حُجَّةُ وقفٍ شرعيةٍ إلى أنه تم بناءُ مسجدٍ في الموقع قبل عام 1022هـ/1613م حيث شرط أحد الواقفين "أنه إذا آل الوقفُ إلى مسجد سيدنا سلمان ينصبُ القاضي بالقدس الشريف ناظرًا مَن يكون فيه أهلية لذلك". وقد وُقِفَتْ عليه حاكورةٌ في جبل الزيتون عام 1074هـ/1663م،كما عَيَّن قاضي بيت المقدس أحمدٌ أفندي بن علي الشيخَ عبدَ الجواد بن يحيى الشويمي عام 1080هـ/1669م في "وظيفة الفراشة والشعالة والبَوابة بمقام ضريح ولـيِّ الله تعالى الشيخ سلمان الفارسي الكائن بجبل طور زيتا، والانتفاع بجميع الغراس التين القائم أصوله بأرض الحاكورة الكائنة بالجبل المزبور، الثابت وقفيتها على ذلك بموجب حُجَّةٍ شرعيةٍ مؤرخةٍ في سادس ربيع الأوَّل سنة أربع وسبعين وألف، عِوَضًا عن مُتصرفها الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين المصري".

وفي عام 1149هـ/1737م عُيِّنَ الشيخُ صالح الإمام بالمسجد الأقصى في وظيفة التولية والنظر على وقف سلمان الفارسي الكائن بأرض الطور عِوَضًا عن الشيخ محمد بن إبراهيم. وقد تمَّ توسعته عام 1328هـ/1910م، ثم أضاف إليه محمد عيسى أبو الهوى نزيل الولايات المتحدة آنذاك بناءً جديدًا مع مئذنةٍ عام 1345هـ/ 1926م. ثم أضيف إليه مؤخرًا بناءٌ حديثٌ مع واجهة قرميدية.

سطح مسجد سلمان الفارسي عام **1425هـ/2004م**. (تصوير الباحث)

الزاوية المنصورية:

أنشأ الشيخ منصور بن علي المحلاوي[1] هذه الزاوية على سفح جبل الزيتون أواسط القرن الحادي عشر ووقفها عام 1064هـ/1654م، وشَرَطَ أن تكون مشيختها لصالح الدجاني ولمن لبس الخرقة من الدجانية من بعده.

وكان بعض المشايخ والقضاة يتبرعون بتخصيص طعام لمن كانوا يتعبدون في تلك الزاوية. ففي 27 ربيع الأوَّل 1062هـ/1652م تنازل الشيخ سليمان الدجاني عن "طاسة طعامٍ من العمارة العامرة" للفقراء المجاورين بزاوية الشيخ منصور بطور زيتا. وفي 6 شعبان 1065هـ/1655م تنازل لهم الشيخ يحيى بن محمد ابن قاضي الصلت عن طاسته من طعام العمارة أيضًا. وفي 29 جماد الثاني 1067هـ/1657م خَصَّص لهم قاضي القدس الشريف حصةً أخرى من الطعام. وقد تضاءل ذكرُ هذه الزاوية في سجلات المحكمة إلى أن درَستْ. ثم تنَبَّهَ لها بعض المواطنين، وأقاموا في موقعها "مسجد المنصوري" حوالي عام 1415هـ/1995م.

1 مصري أقام بالقدس ردحا من الزمن، واعتكف أتباعه في الزاوية المنصورية بجبل الطور وفي رواق منسوب إليه في صحن الصخرة.

الـمسجد الـمنصوري غربي جبل الزيتون **عام1431هـ/2010م**. (تصوير الباحث)

مقبرة الطور:

تقع مقبرة الطور شرقي القرية بجوار مسجد سلمان الفارسي ـ رضيَ الله عنه ـ وبها مغارةٌ مغلقةٌ يُقال أنها تَضمُّ رُفات مجاهدين شاركوا في الفتح الصلاحيّ لبيت المقدس. وذكر الدجاني أنها تُسمَّى مقام الأربعين[1] وأنّ بداخلها قبراً عليه بقيةٌ من كتابةٍ نسخيةٍ مملوكيةٍ. ولعلها هي المقصودة بقبة الأنبياء والشهداء التي ذُكرتْ في شعبان 995هـ/1587م حيث عُيِّنَ خادمٌ في "قبة الأنبياء بالطور، "وفي رمضان من نفس العام عُيِّنَ بَوَّابٌ في "قبة الأنبياء والشهداء بقرية الطور".

وقد طُمستْ الشواهد القديمة في هذه المقبرة واعتلتها شواهد لقبورٍ حديثة، ومن أشهرها قبر هاشم البغدادي (ت 1415هـ/1995م) شيخ صوفية بيت المقدس في عصره، الواقع قبْلي المسجد في طرف المقبرة الشرقي.

1 يقع مقام الأربعين في تل الرميدة في الخليل. ولم أعثر على مصدر آخر أَطْلَقَ على هذه المغارة "مقام الأربعين".

قبة الشهداء في مقبرة الطور عام **1425هـ/2004م**. (تصوير الباحث)

قرية الزْعيّم:

ومن المناطق التابعة للطور قرية الزعيم الواقعة شرقي البلدة، وتشمل جبل الزعيم نفسه وأرض الشيخ عنبر. وتؤكد دفاتر التحرير العثمانية وسجلات محكمة بيت المقدس أن جبل الزعيم كان موقوفًا منذ عام 903هـ/1498م على الخانقاه الفخرية[1].

أما مقام الشيخ عنبر فلم يَذكره مجير الدين، بينما قال الدجاني عنه: "مقام رجلٍ مغربيّ زاهدٍ كان يتعبد على هذا الجبل، ويسمى الشيخ محمد عنبر، ولا يُعرَف عنه أكثر من هذا". لكن أحد مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى كَشف لنا هوية ذلك الشيخ بعدما نسِيَهُ أهل بيت المقدس، ففيه عبارة نصها: "هذا ما وُجِدَ على لوح... ضريح العارف بالله تعالى الهكاري الشهير بالشيخ عنبر: هذا قبر العبد الفقير إلى رحمة ربّه أحمد بن أبي بكر الهكاري، توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رمضان.. سنة ثلاث وثلاثين وستماية".

وقد حظي مقام الشيخ عنبر بعناية العثمانيين كغيره من المقامات، ومن ذلك تعيين عمر نقيب الأشراف عام 1225هـ/1810م "في وظيفة التولية والنظر على مقام ولي الله تعالى الشيخ عنبر الكائن بقرية الطور ليتعاطى أمور التولية والنظر على المقام المزبور ووقفه". وخلال الحرب العالمية الأولى استخدم الجنود العثمانيون باب المقام المذكور وقودًا.

وقد تأسستْ نواةُ قريةِ الزعيم بعد النكبة، حيث استقر فيها لاجئون من قرية رافات. وفي عام1398هـ/1978م تشَكَّلَ فيها مجلسٌ محليٌّ، ثم تسارعت وتيرة البناء عليها في أوائل القرن الخامس عشر الهجري حتى بلغت مساحتها أربعة كيلو مترات مربعة وبلغ عدد سكانها 2020 نسمة عام 1421هـ/2000م.

---

1 **تنسب الخانقاه الفخرية إلى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية (ت732هـ/1331م)، وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية لساحة الحرم غربي جامع المغاربة، والذي أصبح مقرا للمتحف الإسلامي لاحقا، فهي تفصل بين الجامع وسور الحرم الغربي. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2: 34).**

الخطاب الديني الناجح في ميزان الإسلام

بقلم الأستاذ: حسين محمد حسين جاموس
معلم وخطيب لـمساجد القدس

الحمد لله رافع السماء بلا عمد، وباسط الأرض وخالق النعم بلا عدد، أكمل لنا الدين وأتمه من عنده بالمدد، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له المعبود الحق على الدوام، وعد الموحدين من عباده بالجنة دار السلام، وتوعد العصاة بجهنم دار الانتقام، واشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام، ختم الله به الأنبياء فكان مسك الختام، من التزم سنته اهتدى واستقام، ومن أحدث في أمره ما ليس منه فهو ردٌ مع الآثام ﷺ أكمل صلاة وأتم سلام، ورضي الله عن آله الطيبين الأعلام، وصحابته الخيار الكرام، أما بعد:

تمهيد:

فإن الخطاب الديني الإسلامي يتميز عن غيره من الخطابات الدينية الأخرى بعدة خصائص يتفرد بها بشكل واضح تميز معالمه ومضمونه. فهو بداية خطاب عالمي لمخاطبة البشرية جمعاء بغض النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم، وهذه الميزة استمدها من الخطاب القرآني، الذي جاء خطابًا موجهًا للبشرية أجمعين، على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم وعاداتهم وتقاليدهم، لذا خاطبهم القرآن الكريم بقوله ـ تعالى ـ: [يا بني آدم]، و[يا أيها الناس]؛ فالإسلام دين عالمي وكذلك خطابه، جاء للناس كافة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

---

1 سورة سبأ: 28.

وقال ـ عزَّ وجل ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

فهو لكل العالمين وليس مقصورًا على المسلمين لوحدهم.

ولعل ما يميز الخطاب الناجح عموما، وخطاب الدين الإسلامي خصوصا، هو إنتاجه لأثر عملي في حياة المخاطَبين، بتغيير في أفكارهم وسلوكهم. وذلك لكونه خطاباً واقعياً عاطفياً شاملاً لجميع مناحي الحياة المتعلقة بتنظيم العلاقات بين الناس وخالقهم أولا، وبين الناس فيما بينهم ثانيا. فهو يحقق الطمأنينة والسعادة والاستقرار والأمن في الحياة الإنسانية. لذلك كان لابد ـ في أثناء السعي لتأليف خطاب ديني ناجح بهدف توحيد الصف وتأليف القلوب ـ من معرفة الطرق والأساليب والقوالب والصيغ والمناهج، التي تعتمد في مجال تبليغ مبادئ الإسلام وأحكامه وتوجيهاته ومقاصد شريعته إلى الناس كافة، ليكون هذا التبليغ ناجحا ومتميزا ومحققا للهدف والغاية.

أهمية الخطاب الديني المتوازن:

لقد عني ديننا الحنيف بالخطاب الموجه للناس كافة عناية بالغة، وقد تمثل ذلك بنبي الهدى عليه الصلاة والسلام والصحابة من بعده، عندما تميز خطابهم بسمات النجاح، وأنجز من ذلك نجاحات تحققت على مختلف الأصعدة، فساهمت في انتشار الاسلام وتوسع رقعته العالمية. ولعل ذلك لم يكن عبثا، بل لما حمله ذلك الخطاب من بذور النجاح في ثناياه، وتميزه بعدد من المزايا أبرزها:

[1] أنه خطاب ديني يهتم بنهضة الإنسان ويميزه عن غيره من المخلوقات.

[2] أنه خطاب مؤثر كونه يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة ويحرك مشاعر الإنسان وعواطفه ويملأ العقل استنارة.

[3] أنه خطاب يهدف إلى تحصين المجتمعات من التطرّف وجرائم الفكر والعنف الأسري والأخلاقي.

[4] أنه خطاب يقدم صورة إيجابية عن الإسلام.

---

1 سورة الأنبياء: 107.

[5] أنه خطاب واقعي لا يتصادم مع أساسيات العقل والفكر والمنطق والعلم بشتى صوره.

[6] أنه خطاب يلبي متطلبات الإنسان الفكرية والروحية والجسدية، ويسعى لحل ما يعترض طريق الخلق ويتصادم معهم.

[7] أنه خطاب متوازن لا يسعى لإثارة العصبيات والأحقاد والكراهية والضغينة في النفوس، بل يستوعب الآخر، ويترك له المجال في حرية الاختيار دون ضغط أو تهديد.

هذا ما يتميز به الخطاب الديني الناجح والمروي عن نبي الهدى عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز لمن يستمع إلى الخطابات الدينية الشاذة الأخرى، والتي تحمل بين كلماتها عوامل الكراهية والحقد أن يظن أنها مشمولة بمفهوم هذا الخطاب الديني الناجح، بل هي تشوه صورة الإسلام أحيانا وتترك انطباعا عند من يستمع لها أن هذا هو الإسلام، لكن الأمر في حقيقته لا يعدو جهلا مركبا ممن ينشره ويتكلم به.

أدوات الخطاب الناجح:

[1] الموضوعية**: لا بد أن يكون الخطاب الديني موضوعيا، يخلو من التشتيت والتحريف والتنميق والتي تبعده عن الأسس الجوهرية التي تحتاج إلى علاج وتحليل ومناقشة، فالموضوعية في الخطاب الديني هي أداة ودعامة أساسية في نجاحه وتحقيقه للأهداف.**

[2] الوسطية**: ليس الحديث هنا عن وسطية الإسلام، فهذا أمر مفروغ منه، فقد قال الله ـ تعالى ـ:**

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

ولكن الحديث عن تمثُّل أصحاب الخطاب الديني بتلك الوسطية، حيث إن ذلك يبقى محلّ أخذ وردّ بين مختلف الجماعات والتيارات الفكرية الإسلامية، فيرى كل

---

1 سورة البقرة: 143.

طرف أنه يمثّل الوسطية، وأن من يخالفه في بعض التوجُّهات والأفكار يحيد بذلك عن الوسطية. إن الوسطية أن لا تكون متعصبا، وأن تستمع للآخر، وأن لا تهزئ به ولا بخطابه، وأن تسعى للوصول إلى جسر مشترك بين مختلف الأنظار، فتكون بذلك مقبولا عند الجميع.

[3] احترام الرأي المخالف: **ينحصر الخلاف بين المسلمين في نوعين:** خلاف سائغ مبني على دليل، واختلاف مبني على جهل. **ومن حق الشخص أن يتبنى أو يرجح رأيا من الآراء الخلافية وأن ينتصر لذلك الرأي وينافح عنه بالحجة والبرهان، وله أن يدعو إليه، ولكن يجب عليه أن يحترم الرأي الآخر في الخلاف السائغ، ويحترم أصحابه، فلا يهاجمهم أو يسفِّه عقولهم.**

[4] التحرّي عند اختيار الأدلة الشرعية: **إن الاستدلال على أحكام الإسلام وقيمه ينبغي أن يقتصر على ما هو مقبول من الأدلة الشرعية، حيث يكون الأولى أن لا تقلّ الأحاديث المستدلّ بها عن درجة الحسن، لا فرق في ذلك بين الأحكام وفضائل الأعمال.**

كما يجب دعّم الأفكار بأدلة عقلية منطقية قوية، وأقوى الأدلة هي الأمثلة العملية التي تقرِّب الصورة إلى ذهن المستمع وتؤثر فيه. ومرشدنا في ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فقد امتاز القرآن كثيرا بضرب الأمثال؛ لأنها من أقوى وسائل الإقناع . فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[1].

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2].

وقال: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

---

1 سورة الإسراء: 89.
2 سورة الكهف: 54.

وفي السنة النبوية نماذج كثيرة، منها على سبيل المثال: بيان أثر الصلوات في محو السيئات. فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل الصلوات الخمس، كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات)[2].

ومنها حديث النبي ﷺ مع الأعرابي الذي شكّ في عفة زوجته التي ولدت له غلاما لا يشبهه. فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود! فقال النبي ﷺ: (هل لك من إبل؟) **قال: نعم، قال:** (فما ألوانها؟) **قال: حمر. قال:** (هل فيها من أورق؟) **قال: إن فيها أورقا. قال:** (فأنى أتاها ذلك؟) **قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال:** (وهذا عسى أن يكون نزعة عرق)[3].

[5] الاستجابة لمتطلبات الواقع: **إن من خصائص الخطاب الناجح التفاعل مع الواقع الذي يعيشه المخاطبون، ويوجههم إلى موقف الإسلام من مجريات الحياة المعاشة وما ينبغي على المسلمين فعله. ولكن ينبغي أن يكون الداعي على وعي وحذر من الإفراط في الانسياق وراء كل ما هو من قضايا الساعة حتى لا ينجرّ إلى معارك هامشية لا تستحق أن تُهدر فيها طاقات المسلمين وأوقاتهم، وليس الخوض فيها مما يُسهم في بناء المجتمع المسلم، بل قد ينتج عن الخوض فيها مفاسد أكثر مما يرجى من مصالح.**

[6] التركيز على الجانب العملي: **الأصل أن يركز في المجالس العلمية المتخصصة والمحاضرات الأكاديمية الحديث عن النظريات، والتفصيل في الجوانب النظرية. أما في المجالس التي تكون مع عامة الناس، مثل الخطب في المساجد والمحاضرات التي يقصد منها التوعية، فإنه ينبغي التركيز فيها على التطبيقات والمظاهر العملية، وكيفية القيام بالعمل إن كان شيئا مُرَغَّبا فيه، أو اجتنابه إن كان شيئا منهيًّا عنه.**

---

1 سورة إبراهيم: 25.
2 أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس.
3 رواه مسلم في كتاب اللعان، حديث رقم 1500.

[7] استخدام أسلوب التربية بالقصة: **هكذا كان ديدن النبي ﷺ في خطابه مع أصحابه ومع كل المستمعين له، كذاك الشاب من أصحاب النبي ﷺ وهو خباب ابن الأرت ـ رضي الله عنه ـ حيث يبلغ به الأذى والشدة كل مبلغ فيأتي للنبي ﷺ شاكياً له ما أصابه، فيقول ـ رضي الله عنه ـ: "أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ـ وقد لقينا من المشركين شدة ـ فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال:** (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله)[1].

[8] استخدام وسيلة العصف الذهني للوصول إلى الإقناع العقلي: **ومرشدنا في ذلك الرسول ﷺ، فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال له نبي الهدى ﷺ:** (ادنه)، **فدنا منه قريباً، قال: فجلس قال:** (أتحبه لأمك؟) **قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال:** (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) **قال:** (أفتحبه لابنتك؟) **قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال:** (ولا الناس يحبونه لبناتهم) **قال:** (أفتحبه لأختك؟) **قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال:** (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) **قال:** (أفتحبه لعمتك؟) **قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال:** (ولا الناس يحبونه لعماتهم) **قال:** (أفتحبه لخالتك؟) **قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال:** (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) **قال: فوضع يده عليه وقال:** (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[2].

[9] استخدام الحوار والنقاش: **وخير مثال على ذلك موقفه ﷺ مع الأنصار في غزوة حنين بعد قسمته للغنائم، فقد أعطى ﷺ المؤلفة قلوبهم وترك الأنصار، فبلغه أنهم وجدوا في أنفسهم، فدعاهم ﷺ وكان بينهم وبينه هذا الحوار الذي**

---

1 رواه البخاري: 3852.
2 رواه أحمد.

يرويه عبد الله بن زيد ـ رضي الله عنه ـ فيقول: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال:

(**يا** معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟) **كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال:** (ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟) **قال: كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن، قال:** (لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1]. **ففي هذا الموقف استخدم النبي ﷺ الحوار معهم، فوجه لهم سؤالاً وانتظر منهم الإجابة، بل حين لم يجيبوا لقنهم الإجابة قائلاً : ولو شئتم لقلتم ولصدقتم وصُدقتم .**

[10] الإيجاز: **إن معيار نجاح الخطاب ليس في كمّ المعلومات التي يتضمنها وفائدتها، وإنما هو في الأثر الإيجابي الذي يتركه ذلك الخطاب في المخاطبين به والثمار العملية التي تنتج عنه. إن واجب الداعي ليس مجرد البلاغ، بل البلاغ المبين، ومن خصائص البلاغ المبين أن يكون بطريقة تُيسِّر العمل به. ومن هنا كان النبي ﷺ يتخوَّل الصحابة بالموعظة. عن شقيق أبي وائل قال: كان عبد الله يذكرنا كل يومِ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنّا نحب حديثَك ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أُحدثكم إلا كراهية أن أُملَّكم؛ "إن رسول الله ﷺ كان يتخوّلنا بالموعظة في الأيام؛ كراهية السآمة علينا[2]"().**

---

1 رواه البخاري ومسلم.

2 صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة.

[11] ترتيب الأفكار: **لا بد لصاحب الخطاب الناجح من أن يرتب إلقاء الأفكار ترتيبا منطقيا متناسقا، بحيث تسلم كل فكرة إلى ما بعدها. فإن تسلسل الأفكار مهم جدا للاستيعاب ولجذب انتباه المستمع، ومن السهل جدا شرود المستمع إذا لم تكن الأفكار متسلسلة.**

[12] تكرار النقاط والعبارات المهمة: **إن تكرار النقاط والعبارات المهمة مفيد في زيادة لفت انتباه السامع وترسيخ الفكرة. فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: "أنَّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه"[1].**

نموذج لصاحب الخطاب الديني الناجح:

يُعتبر الرّسول ﷺ خير قدوة لنا في تعامله مع أهل بيته وأصحابه وحتى مع أعدائه ومع الناس جميعاً، ومن أهمّ مميّزات أسلوبه في التعامل مع الناس ما يلي:

- **لم يكن يستعلي في تعامله على أحد، ولم يكن مغروراً، بل كان متواضعاً جداً، رغم أنّه أعظم الخلق وأعلاهم مكانةً عند الله ـ تعالى ـ.**
- **كان يُقابل النّاس بالوجه الطّلق الحسن والابتسامة، وكان ذا وجه بشوش دائما، ولم يكن يقطب في وجوه الناس.**
- **كان يكلّم الناس بأسلوبٍ هادئٍ رزين، وبعيدٍ عن الفظاظة بالتعامل، بل كان حديثه ليّناً مطواعاً.**
- **كان يشارك الناس في أفراحهم، فيفرح لفرحهم، ويشاركهم في أتراحهم ويقدّم لهم الدعم والمواساة، ويشدّ من أزرهم.**
- **لم يكن يميّز في التعامل بين أصحابه، مهما كانت أصولهم أو منابتهم أو أموالهم، بل كان يُعاملهم معاملةً واحدةً، وكان يقول دائماً: (ليس لعربيٍ فضلٌ على عجميٍ إلا بالتقوى)، حتى إنّه اتّخذ بلال الحبشي ـ رضي الله عنه ـ ليكون مؤذّنه الخاص.**
- **كان يشاور أصحابه في الأمور جميعها رغم أنه مؤيدٌ بالوحي، إلا أنه كان يُطبّق المشورة بين الناس.**

---

1 صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.

- **إذا تكلم مع أحد من الناس، لم يكن يلتفت إليه برأسه فقط، بل كان يلتفت إليه بجسمه كله، ويستمع إليه، ولا يقاطعه، ويظهر اهتمامه به.**
- **في سلامه على الناس لم يكن يترك يد مُصافحه إلا إذا تركها الآخر.**
- **إذا رأى من أحد المسلمين خطأ، لم يكن يوجّهه أمام الناس ليحرجه، بل كان يخطب في الناس جميعاً ويعلّمهم الصحيح.**
- **كان يحترم الضيف، ويُجلسه في أفضل مكانٍ في بيته، ويكرمه، سواءً أكان مسلماً أم كافراً.**
- **إذا دعاه أحدٌ إلى الطعام تناول الطعام، ودعا بالبركة لأهل بيته، مهما كان نوع الطعام.**

#الموت سنة حياة وليس موضوع رعب

بقلم: لبيب فالح طه

صورة الموت في الأذهان غير محببة، فهو جالب الأحزان، ومفرق الجماعات، وهادم اللذات؛ الموت يشير إلى قبر صغير يحشر فيه المرء بعد سعة الدنيا، وظلمة القبر بعد نور الحياة وضيائها، وحدة بعد اجتماع شمل، وفناء بعد صخب الحياة والسعي فيها. يعتبر الموت موضوعا تكرهه الطبيعة البشرية التي تتعلق بالحياة قدر الإمكان، ولشدة تعلق الإنسان بالحياة لو أمكنه الفرار من الموت لفر منه، فهؤلاء بنو إسرائيل قال الله ـ سبحانه ـ فيهم:

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾[1].

كما يصدق محاولة الفرار من الموت حتى على الأنبياء منهم؛ فقد روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "أرسل ملك الموت إلى موسى ـ عليه السلام ـ فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه

---

1 سورة الجمعة: 8.

وقال: ارجع، فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر" قال: قال رسول الله ﷺ: (فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)[1].

والرسول ﷺ يذكر كراهة الإنسان للموت في الحديث الذي رواه أبو هريرة حين قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءلته)[2].

الموت شديد على الإنسان وحتى على النبي ﷺ في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ التي قالت: مات النبي ﷺ وانه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي ﷺ[3].

وهذا الرسول يذكر ﷺ سكرات الموت ويمسح وجهه بالماء فيما يبدو وكأنه تخفيف من شدتها، حيث تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ـ يشك عمر ـ فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه، ويقول: (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات)**. ثم نصب يده فجعل يقول:** (في الرفيق الأعلى) **حتى قبض ومالت يده[4].**

يلجأ بعض المرضى لتمني الموت من شدة المرض، وقد يتصور بعضهم أن ما ينتظرهم أفضل أو أسوأ مما هم فيه من ضنك الدنيا، لكن هذا الشيء نهى عنه النبي

---

1 رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: من أحب الدفن ليلا في الأرض المقدسة أو نحوها، ومسلم في كتاب الفضائل حديث باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم.
2 رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع.
3 رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.
4 رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

ﷺ في حديث أنس بن مالك حين قال: قال النبي ﷺ: (لا يتمنين أحدكم الموت من ضرّ أصابه فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)[1].

مزايا الموت للمؤمن:

الموت للمؤمن هو لقاء الله: **بالنسبة للمؤمن فإن الموت هو لقاء الله ـ سبحانه ـ إنه لقاء الحبيب بالحبيب، وهل يكره الحبيب لقاء حبيبه!! عن النبي ﷺ قال:** (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[2].

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: (ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه)[3].

عن انس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كرِه لقاء اللهِ كرِه الله لقاءه)، **قلنا : يا رسول اللهِ كلنا يكره الموت؟ قال:** (ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من اللهِ فليس شيءٌ أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر جاءه ما هو صائرٌ إليه من الشر، أو ما يلقى من الشر فكرِه لقاء اللهِ فكرِه الله لقاءه)[4].

الموت راحة للمؤمن، ونقمة على غيره:

الموت راحة للطيبين، وكذلك هو راحةٌ من العاصين، يستريح منه أهل الأرض ومِن أذاه، حتى الجماد؛ فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ

---

1 رواه البخاري في كتاب المرضى، باب: تمنِّي المريض الموت، وفي مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمني كراهة الموت، لضر نزل به.

2 حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه رقم 2658.

3 رواه البخاري كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه.

4 زكي الدين المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج 4، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م، ص 171.

أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: (مستريح أو مستراح منه) **قالوا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه قال:** (العبد المؤمن يستريح من نصَب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)[1].

الموت للمؤمن هو خير يقدم إليه:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها، وإن يك سوى ذلك، فشر تضعونه عن رقابكم)[2].

عن سمع أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ يقول: (إذا وضعت الجنازة، فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها، أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق)[3].

الموت هو الحياة الحقيقية:

جاء في كتاب فيض القدير: "ولو لم يكن الموت، لم تكن الجنة، ولهذا من الله علينا بالموت فقال: (خلق الموت والحياة) **قدم الموت على الحياة، تنبيها منه على أنه يتوصل منه إلى الحياة الحقيقية، وعدّه علينا من الآلاء في قوله** (كل من عليها فان) **ونبّه بقوله:**

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[4].

على أن هذه التغييرات لخلق أحسن، فنقض هذه البنية لإعادتها على وجه أشرف"[5]. قد تكون مقاربة تصوير الموت بصورة منفرة لا تخدم هدف الدعوة الإسلامية؛ حيث يعتبر الموت فيها وسيلة لزجر الأطفال والدعاء على الظالمين، في

---

1 رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت، ومسلم في كتاب الجنائز: باب ما جاء في مستريح ومستراح منه.
2 رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: السرعة بالجنازة.
3 رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: قول الميت وهو على الجنازة: قدموني.
4 سورة المؤمنون، الآية 14.
5 عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1391 ه-1972م، ص 233.

حين ان التذكير بالموت يجب أن يوظف لتذكير الإنسان بالمحطة القادمة في رحلته من الدنيا إلى الآخرة، وما يجب عليه أن يكون عمله من صلاح ليضمن الفلاح في آخرته. والموت يمثل صورة أخرى للحياة حيث اقترن بها في قوله ـ تعالى ـ:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[1].

السماء والأرض تحزن لموت المؤمن:

تفتقد الأرض والسماء عمل المؤمن الصالح وعبادته؛ حيث يقول الطبري في تفسير الآية:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[2]:

"لأن المؤمن إذا مات، بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا ولم تبكيا على فرعون وقومه، لأنه لم يكن لهم عمل يَصعْد إلى الله صالح، فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض، فتبكي عليهم الأرض"[3].

نهاية واضع النهايات:

يضع الموت نهاية لحياة الإنسان، والموت نفسه لا بد له من نهاية، معلنا بداية مرحلة الخلود فلا موت؛ حيث يروي أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن الرسول ﷺ قوله: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت) **ثم قرأ:**

---

1 سورة الملك: 2.
2 سورة الدخان: 29.
3 محمد بن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج14، ج 25، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2004، ص128.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1][2].

كما يروى عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قوله : قال رسول الله ﷺ: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)[3].

إن إظهار مزايا الموت لا يعني الترغيب فيه وترك الدنيا بقدر ما يعني فضائل الاستعداد له، وتقبل حدوثه كسنة من سنن الله الكونية التي لا تبديل لها.

رابعة العدوية

محمد ذياب أبو صالح ـ الهيئة الإسلامية العليا

هي رابعة أم الخير بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عقيل الصالحة المشهورة، كانت من أعيان عصرها وأخيارها في الصلاح والعبادة مشهورة، وكانت تقول في مناجاتها: إلهي أتحرق بالنار قلبا يحبك؟ فهتف بها هاتف: ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا على السوء، ومن وصاياها: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم، وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للحبيب مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي[4]

مولدها: **ولدت المرأة العابدة الصوفية في مدينة البصرة عام مائة للهجرة من أسرة متوسطة الحال وكان والدها يعمل على زورق لنقل المسافرين في أحد أنهار**

---

1 سورة مريم، الآية 39.
2 رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة)، وفي مسلم في كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.
3 رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار
4 الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، ص 292

البصرة وكان ترتيبها بين أخواتها الرابعة ولهذا سميت بهذا الاسم ثم توفي والدها ولم يتجاوز عمرها العاشرة وقد عمدت إلى مواصلة عمله وكانت تحصل على النقود لتغطي حاجة أسرتها .

حدث قحط في عام من الأعوام في مدينة البصرة مما دعاها على الهجرة إلى بلاد الشام حيث تفرقت عن أسرتها، وذاقت مرارة السبي واشتراها أحد التجار الذي سامها عناء ولكنها في النهاية وصلت مدينة القدس التي كانت وما زالت قبلة العشاق والمريدين من أهل العلم والفقه والفكر والتدين والتصوف للمجاورة في رحاب المسجد الأقصى المبارك.

اتسمت رابعة العدوية بموهبة شعرية شفافة في الحب الإلهي

عرفت الهوى منذ عرفت هواك وأغلقت قلبي عمن سواك
وكنت أناجيك يا من ترى خفايا القلوب ولسنا نراك
أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب عم سواك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك
أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك
وأشتاق شوقين شوق النوى وشوقا لقرب الخطى من حماك
فأما الذي هو شوق النوى فمسرى الدموع لطول نواك
وأما اشتياقي لقرب الحمى فنار حياة خبت في ضياك
ولست على الشجو أشكو الهوى رضيت بما شئت لي في هداكا

رابعة العدوية وما قيل حولها:

أخرج الممثل المصري فريد شوقي والممثلة نبيلة عبيد فيلما مصريا يدعون فيه بأنها كانت فتاة منحرفة وتشرب الخمر وتغني في المناسبات وغير ذلك من التشويه القذر بحق هذه الصالحة العابدة كما أن هناك مخلصين ممن يرد عليهم بأسلوب علمي رصين في هذا الموضوع حيث انبرى للدفاع عنها وعن مسيرتها الدينية والفكرية أمثال الفيلسوف عبد الرحمن بدوي في كتابه شهيدة العشق

الإلهي، وقد عاشت ولم تتزوج وأوقفت حياتها على العبادة والتصوف والحب والعشق الإلهي الفريد.

الحقيقة أنها مؤمنة متدينة نبتت وترعرعت في بيت علم ودين وأدب وخلق ولم تنحرف عن جادة الصواب وأمضت حياتها في العبادة التصوف ، كما أن هناك من يدعي بأنها ولدت عام مائة للهجرة وتوفيت عام مائة وخمسة وثلاثين والحقيقة أنها توفيت عام مائة وخمس وثمانين، ودفنت في مدينة البصرة، وقبرها هناك معروف ومشهور، وقد وقع خلط بينها وبين رابعة الشامية زوجة أحمد بن أبي الحواري التي دفنت في مدينة القدس على جبل الطور.

وسبب هذا الخلط تشابه اسميهما، كما أن القدس عبر تاريخها لإسلامي كانت وما زالت مقصد النساك والعباد والمريدين وأصحاب الفكر وما زالت جنباتها تعج بالعديد من رواد الإيمان الذين وفدوا إليها من أقطار العالم الإسلامي ليتبركوا بها ويتلمسوا خطى الصالحين ممن سكنوها فعاشوا فيها ودفنوا في ثراها الطهور فهي تحوي في جنباتها أجداث الأعداد الهائلة من أصحاب الطرق الصوفية والمؤمنين فلنحافظ على إسلامية هذه المدينة الخالدة ولنتمسك بثراها الطهور المضمّخ بعبق الشهداء والصالحين والصديقين.

قيمة الأمانة وصورها المتعددة في الشريعة الإسلامية

د: شفيق عياش

إن الأمانة تلتقي مع الإيمان في معنى الأمن، والتلازم بينهما واضح وجليّ حيث يفهم ذلك من قول الرسول ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**)[1].**

غير أن هذا المعنى لا يتضح إلا بتعريف الأمانة.

1 رواه البيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه.

فمعنى الأمانة: الوديعة:

هو ما يدفع ليحفظ عند الغير، فكل ما يكون في عهدة إنسان وذمته يسمى أمانة؛ لأن صاحبه قد شعر بالأمن والاطمئنان والاستقرار والثقة في أن المؤتمن سيحفظه ويصونه ويؤديه إليه عند طلبه منه.

والأمانة في نظر الشارع الحكيم واسعة الدلالة وهي ترمز إلى معان شتى على النحو الذي بينه الحديث الشريف: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته)[1].

ومن هنا ندرك سعة مفهوم الأمانة وانطباقه على كل أمر يأمر به الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ثم إن الأمانة بمعنى الوديعة، وبمعنى الوفاء، وعدم الخيانة، تصدق على كل التكاليف المشروعة، وعلى كل ما يعهد إلى الإنسان القيام به وما يوكل إليه من الأعمال.

1 رواه الشيخان عن ابن عمر، انظر مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية ص196 للهاشمي.

وهكذا يصدق معنى الأمانة على كل ما يؤتمن عليه الإنسان ويجمع كل ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1].

وقد فسرت الأمانات أيضا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[2].

بكل ما أوجبه الله على عباده وبكل الحقوق التي يجب أداؤها أو قضاؤها، لأن ما أوجبه الله على عباده هي حقوق في أعناقهم لا تبرأ ذمتهم دون أدائها وقضائها ولأن كل حق هو دين لصاحبه في عنق من يكون عنده لا تبرأ ذمته دون أدائه وقضائه.

وعلى ضوء ما تقدم من نصوص شرعية تكون الأمانة شاملة للقيام بجميع التكاليف والالتزامات الأخلاقية والاجتماعية بدون تفريط ولا تقصير في أدائها. وكل تفريط بالأمانات يؤدي إلى اختلال موازين الحياة، وشيوع الخيانة، والفساد الخلقي والاجتماعي. فالحياة لا تصلح والمجتمع لا يستقر إلا بالأمانة، فبها تتوافر الثقة وتقل الخصومات. أما الخيانة فإنها بئست البطانة ينشأ عنها فساد كبير وشر مستطير.

قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيج وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة)[3].

ومن معاني الأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به ـ فلا يسند منصب إلا إلى أهله الأكفياء له ـ وقد وردت نصوص متعددة في أقوال الرسول ﷺ تبين أن إسناد الحكم إلى أصحابه أمانة وإن الحكم بذاته أمانة، واعتبار الولايات والأعمال

---

1 سورة الأحزاب آية 72.
2 سورة النساء آية 58.
3 أخرجه أبو داود.

العامة أمانات ومن النصوص الدالة على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبه ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)[1].

فاعتبر الرسول ﷺ الولاية في هذا الحديث أمانة. حيث إن الأمانة تقضي بأن تسند الأعمال إلى أفضل الناس قياما لها أما إذا انحرفت عن مسارها الصحيح ومالت عنه إلى غيره واتبع من بأيديهم منح السلطة للآخرين سبل الغواية والضلال، كانوا غاشين لمجتمعهم متنكرين لأحكام دينهم مرتكبين بتنحية القادر وتولية العاجز خيانة فادحة عظيمة.

قال رسول الله ﷺ: (من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)[2].

فهذا الحديث الشريف يدل على أن سلطة التولية أمانة بدليل أن تأديتها إلى غير أهلها خيانة، ومظهر من مظاهر الفساد الذي يقع في آخر الزمان. جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ: "متى تقوم الساعة؟" فقال له: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[3].

وبهذا تكون سياسة الرسول ﷺ في تولية الأمراء سياسة الناصح الأمين الذي يضع مرضاة الله ـ سبحانه ـ نصب عينيه لا يأخذه في قول الحق لومة لائم، فمن وجده من أصحابه أهلا للقيادة أسندها إليه وحمله من أعبائها ما يقدر على حمله، ولا يوسد الأمر إلى من يطمع به طمعا يدفعه إلى طلبه ولا من يحرص عليه لأن أمر الولاية مسؤولية عظيمة لا يتهالك عليها إلا من هو طامع فيها يريدها مغنما له ولذويه الطامعين.

---

1 أخرجه مسلم، انظر رياض الصالحين ص299 للإمام النووي.
2 الترغيب والترهيب ج3/ص179، رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.
3 أخرجه البخاري، انظر مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، ص14 للمرحوم الهاشمي.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: "دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول الله أمرّنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر مثل ذلك، فقال رسول ﷺ: (لا نستعمل على عملنا من أراده)[1].

وهذه السياسة النبوية الشريفة هي التي تضمن الأمن والاستقرار واستقامة الأمور. ومن معاني الأمانة أيضا أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا في العمل الموكول إليه وأن يستفرغ جهده في إبلاغه غاية الكمال، ومن الأمانة ألا يستغل الرجل وظيفته التي عين فيها لجني منفعة شخصية له أو لأقاربه لأن في ذلك اعتداء على المصلحة العامة.

قال رسول الله ﷺ: (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول)[2].

فالذي يأخذ من مال الأمة بغير حق يعتبر غاشا لها ومختلسا لأموالها ومعتديا على أموال الفقراء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

أما الذي لم يتعد على حدود الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما أوكل إليه من عمل ويقوم بواجبه خير قيام يكون عند الله من المجاهدين لنصرة الحق وإعلاء راية الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: (العامل إذا استعمل فأخذ الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته)[4].

ومن معاني الأمانة أيضا أن ترعى وتحافظ على من هم عندك كزوجتك وأولادك ووالدك وكل من تربطك بهم آصرة القرابة، فإن رعيت حقوقهم ونصحتهم وأسديت لهم الخير وأبعدت عنهم الأذى، كنت بذلك قائما بالأمانة خير قيام مطبقا لقوله ـ تعالى ـ:

---

1 متفق عليه.
2 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
3 سورة آل عمران آية 161.
4 أخرجه أبو داود، وانظر صحيح الترهيب والترغيب 774.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1].

كما أن المال في أيدي الناس أمانة فإن أنفقوه في أوجه الخير وأحسنوا التصرف به كانوا أمناء أوفياء وإن انحرفوا عن ذلك كانوا خونة ظالمين معرضين عن قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

ومن معاني الأمانة المهمة أن تحفظ أسرار المجالس التي تحضرها وتشارك فيها ولا تجعل لنفسك مجالا بإفشائها ونقل أخبارها للآخرين، فحرمات المجالس يجب أن تصان ما دامت الأحاديث التي دارت فيها منضبطة لا تخالف شرع الله، وإن انحرفت عن ذلك فليست لها حرمة وعلى كل مسلم حضر مجلسا يخطط فيه ضد الإسلام والمسلمين أن يسارع إلى الحيلولة دون وقوع الأذى والفساد قدر طاقته.

قال رسول الله ﷺ: (المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس، مجلس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق)[4].

كما لا يجوز لأحد الزوجين أن يفشي سرّ علاقتهما الجنسية للناس لأن شؤون العشرة بينهما يجب أن تطوى فيما بينهما فلا يطلعا عليها أحدا مهما كانت درجة قرابته. قال رسول الله ﷺ: (إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته أو تفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه)[5].

---

1 سورة التحريم آية6.
2 سورة الحديد آية 7.
3 سورة التوبة آية 34.
4 رواه أبو داود عن جابر بن عبد الله.
5 أخرجه مسلم، سبل السلام ج3/ص140.

وهكذا نجد الأمانة تنتظم الاستقامة في جميع شؤون الحياة من عقيدة وخلق ومعاملة، فكل مسلم يؤتمن على دينه، مؤتمن على عمله، مؤتمن على أهله وأولاده، مؤتمن على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم والتفريط بشيء من هذه الأمانة جهل وظلم وخيانة وغدر.

ويوم كانت الأمة الإسلامية من أصدق الأمم وأخلص الشعوب في حمل الأمانة والوفاء بها كانت خير الأمم قاطبة، لأنها كانت متأسية بمنهج رسول الله ﷺ حيث ربّى صحابته الكرام على الرجولة والشجاعة وعودهم قول الحق وكان يبايعهم على ذلك حتى غدا كل واحد منهم يصدع بما يعتقد أنه الحق لا يبالي أذهبت نفسه بعد ذلك أم بقيت ودون أن تأخذه في الله لومة لائم أو تمنعه من قول الحق مخافة حاكم أو ظالم.

فهذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قام على المنبر فقال: "لو رأيتم في اعوجاجا ما كنتم فاعلين؟" فقام إليه أحد الحاضرين شاهرا سيفه وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحدّ سيوفنا.

وخطب يوما فقال: "أيها الناس اتقوا الله" فقام إليه أعرابي فقال: اتق الله أنت يا عمر، فقال عمر: "جزيت خيرا يا أخا العرب لا خير فينا إذا لم نقبلها ولا خير فيكم إذا لم تقولوها".

وها هو عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أراد أن يقرض بعض الناس من الخزينة العامة وطلب إلى خازن بيت المال أن ينفذ رغبته في ذلك فأبى عليه الخازن، فقال له عثمان: "أتأبى ذلك وأنت موظف عندنا" فجاء إلى المسجد وقال للناس بصوت يسمعه كل من في المسجد، "أيها الناس لقد زعم عثمان أني خازن له، وإنما أنا خازن بيت مالكم لا بيت ماله وها هي مفاتيح بيت المال أردها إليكم" ثم رمى بالمفاتيح وخرج، وهذه هي أمانة الموظف يأبى أن يتجاوز القانون إرضاء لمسؤول أو حاكم.

هذه بعض صور الأمانة حيث كانت سائدة في مجتمع كانت الأمانة فيه خلقا بارزا إشاعة الطمأنينة والثقة فيهم فإذا هم يتعاملون بالحب ويتعايشون بالراحة وهناءة البال. وفي هذا العصر وقد ارتفعت الشكوى من سوء الأوضاع حيث عمّت

الريبة وساورت الشكوك نفوس الناس، وقل الخير وفاعلوه، وكثر الشر وحاملوه، وامتلأت الأرض بالمظالم وأسود وجه التاريخ من الجرائم واستعصى حل العداوات والخصومات على القضاة في المحاكم وضاعت كثير من الحقوق، وأكل الناس أموالهم بينهم بالباطل فهل تجدون لذلك سببا يجمع أسباب هذا الاضطراب إلا وصفا واحدا وهو ضياع الأمانة فبضياعها تهدر القيم والحرمات والعياذ بالله.

ولقد حدث رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة وقبضها من القلب حتى يقل الأمناء فيعدون على رؤوس الأصابع، ثم يبقى أثر الأمانة في القلب فيعيش الناس عليه زمنا ثم يرفع أيضا.

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: (وخيركم قرني ـ والقرن مائة عام ـ ثم يلون بعدهم قوم يشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينفذون ولا يعرفون ويظهر فيهم السمن)[1].

أي تكون أجسامهم سمينة ضخمة لماذا؟ لحرصهم على الدنيا يتمتعون بلذاتها ولا يهمهم في الحياة إلا ملء بطونهم بأصناف الطعام والشراب فتسمن أجسامهم وتخص بطونهم ثم لا يفعلون واجبا ولا يؤدون الأمانة، وهذه من صفات الكفار حيث قال ـ تعالى ـ:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[2].

فلنحرص على أداء الأمانة ولنكن أوفياء مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومع الناس بأداء الحقوق وفعل الواجبات واجتناب المنهيات لنكون من الذين:

﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[3].

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل

---

1 سبل السلام ج4/ص126، متفق عليه.
2 سورة محمد آية12.
3 سورة الأحزاب آية 23.

أربطة القدس
بين الماضي والحاضر

د: ناجح بكيرات

مقدمة:

تعتبر المباني في مدينة القدس ذات أهمية بالغة إذ أنها تعبر عن هوية المدينة وذاكرتها عبر أجيال عمرت وعلمت وتركت لنا إرثا حضارياً يتوجب علينا الحفاظ عليه، وإعادة الدور الذي من أجله أنشئ، ومعرفة أوقافه وخفاياه، وأوضاعه الحاضرة، وكيفية استعماله خوفاً عليه من الضياع وعندها تقع الكارثة، ويقع ما لا تحمد عقباه.

فالأمة التي تفرط في تراثها امة مهزومة وضائعة، والأمة التي تحافظ على تراثها وتقدمه للأجيال القادمة على أنه جذور لثقافتها وعقيدتها وتحسين استعمال هذه المباني وتحافظ على أوقافها، هذه أمة منتصرة لا محالة هذا شأن كل حجر في فلسطين والقدس خاصة، فكيف إذا كانت هذه المباني تعبر عن مفهوم وجود ورباط وعلم، عندها يكون الحمل أكبر والمسؤولية أعظم.

وفي هذا البحث نستعرض لمبانٍ خصصت لهذا المفهوم فكانت أربطة القدس وأوقافها محل هذا البحث رغم ضآلة المعلومات وغياب الاهتمام البحثي وعدم ربط هذه المباني بمفهوم الإنسان الفلسطيني المقدسي الذي يعيش في صراع لحظي مع قوة احتلال باغية، تهدف إلى إزالته وإزالة هويته العمرانية والثقافية.

ومن أجل أن تبقى القدس عربية إسلامية، وعاصمة للشعب الفلسطيني أبدية بإذن الله، ومهوى أفئدة الأمة العربية والإسلامية، كان لزاماً علينا أن نناقش هذه الأربطة مبينين أسماءها ومواقعها وتاريخ إنشائها ووصفها وأوقافها والتعميرات

التي جرت عليها، وعلماءها وسكانها اليوم وماذا يمكن أن نفعله كي تبقى رسالتها دائمة غير منقوصة موضحين ذلك من خلال الخرائط والصور والسجلات والوثائق والمصادر وتقديم التوصيات التي تسهم في الحفاظ على المدينة ومقدساتها وتثبيت أهلها وتبني مبادرة إحياء الأربطة القديمة وإنشاء أربطة جديدة والتحضير لمشروع رباط عالمي يهدف في النهاية إلى حسم الصراع مع الاحتلال.

وقد سلك الباحث في نقاشه لهذه الأربطة الترتيب المكاني والزماني لاعتبارات كثيرة منها أن الخرائط العالمية اليوم مرتبطة بالمكان ولا تعول على زمان المكان كثيرا، ومنها أن المسارات المستقبلية لهذه الأربطة ستكون من خلال مكانها، ومنها توفير الجهد والوقت، ومنها أن جميع هذه الأربطة هي إسلامية بغض النظر عن وقت إنشائها، علما أننا نغفل عن التاريخ الزمني فهو جزء من الذاكرة التي لا تغيب ولا يمكن أن تنسى، وقد تم تقسيم البحث على النحو التالي:

1. التعريف بمفهوم الرباط والأربطة.
2. مباني الأربطة وأوقافها.
3. مشروع الرباط العالمي في القدس وفلسطين.

التعريف بالأربطة والرباط

جاء في كتاب موسوعة العمارة الإسلامية[1] معنى كلمة رباط: Ribat Monastere Forteresse أربطة ورباطات وربط: لفظة تعني في الأصل إعداد الخيل وربطها وملازمة ثغر العدو (الثغر هو منفذ البلاد بحراً أو براً، وممر عبر حدودها إلى العدو) تأهباً للجهاد في أية لحظة.

ثم أطلقت على البناء الذي يضم المقاتلين المرابطين، ولعل التسمية آتية من بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فقد جاء ذكر الرباط في قوله ـ تعالى ـ:

1 عبد الرحيم، موسوعة العمارة، ص201.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [1].

وقوله ـ تعالى ـ :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وجاء في كتاب معاهد العلم في بيت المقدس: "أما الرباط فقد كان في الأصل بيتاً للمجاهدين ولكن الصوفيين استعملوه بمعنى الخانقاة على أساس أنهم كانوا يخوضون جهاداً روحياً، أسّست أول الربط العسكرية في سوريا في القرن الثاني للهجرة، ولكن أهميتها بدأت تقل بعد القرن الثالث بعد ما استتب الأمر للمسلمين"[3].

وفي كتاب أحسن التقاسيم قوله:"وكانت الربط على امتداد الشواطئ الفلسطينية، وكانت هذه الربط محصنة بالأبراج التي كان يقيم بها المجاهدون... غير أنها كانت تستعمل أساسا في ذلك الوقت كمحطات لافتداء الأسرى المسلمين الذين كان الروم القادمون من البحر يجلبونهم ويستبدلونهم بأموال الفدية، وكانت هذه الربط في: غزة وميماس وعسقلان وماهوز واسدود وبينا ويافا وارسوف، ثم عادت للربط أهميتها مع الحروب الصليبية فأنشئ العديد منها في القرن السابع وما تلاه، بوصفها أبراجا للمراقبة يحرسها الجنود"[4].

بيد أن الربط لم تكن كذلك كلها، فربط القدس بعد رحيل الصليبين كان هدفها الأساسي توفير أماكن لإقامة زوار المدينة والوافدين إليها وتوفر لهم التعليم بالإضافة إلى مهامها الاجتماعية والدينية.

وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للمطالعة والكتابة يساعدهم على ذلك وجود مكتبات عامرة فيها، حيث أن كثيراً من كتب التصوف الفت في الربط. والفرق

---

1 الأنفال آية 60.
2 آل عمران آية 200.
3 العسلي، ص 306.
4 المرجع السابق، ص306.

بين الزوايا والأربطة أن الزوايا كانت في الغالب مؤسسات شخصية وهي أصغر حجماً من الربط والزوايا أقدم عهداً من الربط، ومساحة التعليم فيها اكبر بحيث أنها تطورت إلى مدارس فكما جاء في موسوعة العمارة بان الزاوية (زوايا أداة هندسية من خشب أو حديد أو ما شابه تستعمل في البناء والتجارة والرسم لضبط عمودية الخطوط وأفقيتها) نوع من الأبنية الدينية لا مئذنة لها ولا منبر تضم ميضأة وغالباً ضريح مؤسسها، أو احد الصالحين تقام فيها الصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة والعيدين تصميمها اقرب إلى مخطط المدرسة ذات الإيوانات، وقد ألحقت بها قاعات خاصة لتأمين خدمات متعددة، وفصل لها شيخ مسؤول وخدم وموظفون لرعاية المقيمين والوافدين وكانت هناك زوايا (للنساء أو الرجال أو الأرامل...)[1].

إذاً الدور الذي يقوم به الرباط يختلف عن الزاوية وحتى تصميم البناء فالرباط له دور في الاتصال والمراقبة. وقد أشار المقدسي إلى دور الأربطة في إرسال الأخبار الملحة إلى الحواضر، وفي الإنذار المبكر لدى تعرض البلاد للخطر بقوله: "فان كان ليل، أوقدت منارة ذلك الرباط، وان كان نهار دخنوا، ومن كل رباط إلى القصبة، عدة منابر شاهقة، وقد رتب فيها أقوام، فتوقد المنارة التي للرباط، ثم التي تليها، ثم الأخرى، فلا يكون ساعة إلا وقد انفر في القصبة، وضرب الطبل على المنارة، ونودي إلى ذلك الرباط، وخرج الناس بالسلاح والقوة"[2] وكان الخبر يصل من القدس إلى الجزيرة العربية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة شهر.

وكانت الأربطة تزرع الطمأنينة في قلوب الوافدين والمسافرين والتجار والناس أجمعين، ويعود تاريخ إنشاء الرباطات حسب المراجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين، الثامن والتاسع الميلاديين وأقدم ذكر لها جاء في رسالة اليعقوبي حيث يقول: "إن هارون الرشيد بنى ثمانية ثغور مثل طرطوس وغيرها وبنى دوراً للمرابطين"[3]. وكان لها دور روحي ذكره المقريزي في الخطط بقوله: "....والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد"[4].

أولاً: تعريف الرباط لغة واصطلاحاً:

1 عبد الرحيم، موسوعة العمارة، ص211.
2 المقدس، أحسن التقاسم، ص177.
3 عبد الرحيم، موسوعة العمارة، ص196.
4 المقريزي، الخطط، ص247.

وقد أوردت د. نجوى قراقيش تعريفات واضحة للرباط بقولها: "الرباط لغة: **اسم من (رابط) (مرابطة) من باب قاتل، إذا لازم ثغر العدو. والرباط الذي يبني للفقراء مولد، ويجمع في القياس (ربط) بضمتين.**

والرباط اصطلاحاً: **هو الإقامة في مكان يتوهم هجوم العدد فيه، لقصد دفعه لله ـ تعالى ـ"[1].**

1 قراقيش، مسائل فقهية، ص15.

ومن السنة قوله ﷺ: (رباط يوم وليلة، خير من الدنيا وما عليها)[1].

وحكم الرباط في بيت المقدس وأكنافه فرض عين كل يرابط في مكانه ليحرسه إن كان بيته أو أرضه، أو مسجده، الخ.... وقد ذكر الإمام مالك: "أن من سكن الثغر بأهله وولده لم يكن مرابطاً، إلا أن تكون سكناه تبعا للرباط، ولولا المرابطة لما سكناه" وهذا ما اشترطه الإمام مالك[2]. وهناك أوجه عديدة للرباط والمرابطة في بيت المقدس سنناقشها بالتفصيل في المبحث الثالث من هذا البحث.

أربطة القدس

مقدمة:

الرباطات في القدس هي سبعة وتتشابه في التخطيط، فقد كانت مستطيلة المسقط، معظمها بجوار المسجد الأقصى المبارك ولها مدخل واحد، وطبقتان اثنتان، وفيه عدة غرف وساحة مكشوفة ومصلى وفي بعضها مخازن ولها أوقاف عديدة، وفيها وظائف متعددة أنشئت ثلاثة منها في القرن السابع وواحد في كل من القرن الثامن والقرن التاسع والقرن العاشر وسأتناولها حسب موقعها الجغرافي الحالي.

رباط المنصوري

1. **الموقع: يقع على بعد 25 متراً من باب الناظر (المجلس) وعلى يمين الداخل إلى المسجد الأقصى المبارك.**
2. **التسمية: سمي كذلك نسبة لواقفة السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحي المتوفى سنة 689هـ/ 1290م.**
3. **المنشأ: الأمير علاء الدين أيدغدي (البصري).**
4. **تاريخ الإنشاء: أنشئ في سنة 681هـ/1282م.**
5. **وصف البناء: يضم هذا الرباط ثلاث وحدات معمارية أساسية:**

---

1 صحيح مسلم، ج3، ص155، ح1913.
2 قراقيش، مسائل فقهية، ص15.

الوحدة الأولى:

مدخل عميق رحب مستطيل الشكل بمصطبة حجرية كبيرة (مكسلتين) تقع في جانبيه الشرقي والغربي، وذلك لاستدامة الحراس أو جلوس مستعملي العقار للانتظار أو خلال أيام الصيف الحار للاستبراد، ويتكون سقف المدخل من قبو متقاطع[1] ويظهر في جداره الجنوبي نقش كتابي يؤرخ بناء الرباط جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله عم بفضله كل شيء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أمر بعمارة هذا الرباط ووقفه على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور أبو الملك سيف الدنيا والدين قلاون الصالحي أدام الله أيامه وتقبل منه سنة إحدى وثمانين وستمائة"[2].

الوحدة الثانية:

قاعة كبيرة مستطيلة تقع شرق المدخل بطول 23م، وعرض9م، ويمكن الوصول إلى القاعة من خلال ممر يلي المدخل مباشرة.

الوحدة الثالثة:

ساحة كبيرة مكشوفة تقع غرب المدخل بطول 28م، وعرض 25م، وتتكون أرضيتها من بلاط حجري جميل بشكل مميز، ويحيط بها مجموعة من الغرف والخلوات بأحجام مختلفة كانت الساحة تحتوي على خرزتين لبئرين لتزويد المقيمين في الرباط بالمياه العذبة ولكن تم ردم البئرين بسبب توسع البناء في منطقة الساحة.

للرباط واجهة معمارية جميلة تطل على طريق باب المجلس تمتد حوالي 68م وترتفع 11م، وهي مكونة من قسمين: علوي يعود تاريخه إلى الفترة العثمانية المبكرة، وسفلي أصلي يعود إلى الفترة المملوكية، ويفصل بين القسمين إطار زخرفي من مجموعة أحجار مضلعة، ورغم التشويهات والإضافات التي تعرضت لها الواجهة عبر العصور إلا أن بعض عناصرها الأصلية ما زال واضحاً[3].

6- وظيفة الرباط ودوره: **لقد تم بناء رباط المنصوري خارج ساحات المسجد الأقصى المبارك مع العلم أن السلاطين كانوا يقيمون منشآتهم داخل المسجد**

---

1 لجنة القدس، دليل القدس، ص124.
2 حمد، آثارنا العربية، ص356.
3 لجنة القدس، دليل القدس، ص125.

الأقصى المبارك نفسه إلا أن هذا الرباط كان له دور في الحياة الفكرية، والاجتماعية والسياسية، فقد تمثلت وظيفته في توفير مأوى لفقراء وزوار بيت المقدس، وتوفير الطعام للمحتاجين، وقد تم تخصيص ريع أراض وعقارات في أنحاء مختلفة من فلسطين لتغطية التكاليف التشغيلية للمبنى والوظائف المرتبطة به، واستعمل أيضا لنزول زوار القدس من السلاطين والأمراء واستعملت حواصله (المخازن) لتخزين الحبوب وسكن في غرفة عدد كبير من المتصوفة المرابطين على بوابات الأقصى رجالا ونساء.

وقد وصل عدد المجاورين فيه في مطلع العقد السابع من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (86) مجاوراً، حول العثمانيون وظيفته فيما بعد إلى سجن لتوقيف المتهمين ريثما تتم محاكمتهم، لذا عرف باسم حبس الرباط، وفي أواخر عهدهم استعمل داراً يسكنها عائلات من الجالية الإفريقية من التكارنة السودانيين[1]، واستعمل في العقد الثالث من القرن العشرين مقراً للمتحف الإسلامي قبل نقله إلى موقعه الحالي.

7- أوقاف الرباط: تبين الحجج الشرعية الأوقاف التي حبست عليه في كل من عكا وغزة ونابلس وصفد والقدس، وطرق استغلالها وإدارتها وجباية ريعها وتوزيعه على المستفيدين، ومخصصات نزلائه المالية والعينية، والوظائف فيه وأصحابها الذين كثيراً ما كانوا من عائلتي أبي اللطف والديري والفتياني، ومما يلفت النظر في شؤونه أن عائدات القطن من أوقافه في عكا فقط بلغت في سنة 976هـ/1568م (4068) رطلاً، وقد فاق ريعه من جل أوقافه في نهاية هذا القرن مبلغ (15,000) أقجه، هذا فلم تستبعد المرأة من تولي بعض الوظائف فيه[2].

ويفيد سجل المحكمة الشرعية 522 صفحة 26 بالتفصيلات التالية: "وقف السلطان أبو المعالي قلاوون على الرباط في قدس تاريخ الوقف 681هـ، بستان في غزة، قرية ظعن؟ الأسمر تابع نابلوس(8ط) قرية؟ جلحة تابع مزبور (3ط) قرية عصيرة تابع م(8ط)، قرية بعارة تابع م(8ط)، قرية رأس تابع صفد (8ط)، قرية عطا

1 إحياء التراث، منارات، ص123.
2 نفس المصدر، ص123.

تابع صفد (12ط)، قرية؟ تابع غزة خمس، مزرعة أبو؟ تابع قدس(½ ط وربع ط) قرية؟ 3ط، بيت سكن محب الدين تماماً، بيت ابن كريم؟ البيرة؟ تماماً"[1].

وفي سجل 202، ح1، ص197 (3 ذي القعدة 1115هـ/10 آذار 1704م) الحاكم الشرعي يأذن لمحمد وأحمد ولدي الحاج أحمد بن سالم المغربي بنصف وظيفة السكن والإسكان بالخلوة الشرقية الكائنة في الرباط المنصوري، وبالحجرة الشرقية الكائنة في رباط علاء الدين البصير، شركة عمهما بحق النصف الباقي في الحجرتين، عوضاً عن والدهما المتوفى[2].

وممن تولى وقف الرباط في القرن العاشر الشيخ اسحق بن عمر بن أبي اللطف (سنة 983، س. ش 56 ص 605)، وفي سنة 1092هـ قرر القاضي عيسى ابن هبة الله الشهير بابن فتيان في وظيفة المرتب بالرباط، عوضاً عن ابن عم والده الشيخ محمد بن فتيان بحكم وفاته[3].

8- الوضع الحالي للرباط: تم ترميم الرباط قبل حوالي 15 عاماً، وأعيد تأهيل القاعة الشرقية منه، وتستخدم لنشاطات وإغراض متعددة اجتماعية وثقافية ويستخدمها في معظم الأحيان نادي الجالية الإفريقية والغرف الأخرى والواجهة والأرضيات بحاجة إلى ترميم وترتيب أكثر، وجميع سكان الرباط لهم عقود إيجارة مع دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس إذ يعتبر الرباط اليوم وقفا خيرياً صحيحاً، ومعظم أوقاف الرباط تعطلت وهي بحاجة إلى استرجاع ولكن المشكلة القائمة هي مصادرة الاحتلال معظم أوقاف الرباط هذا من جهة ومن جهة أخرى تعدّد الجهات المشرفة على الأوقاف فجزء منها في غزة وجزء في الضفة وجزء في القدس، لمّ الله شمل الرباط وشملنا.

رباط علاء الدين البصير

1- الموقع: يقع على بعد 25 متر من باب المجلس على يسار الداخل إلى المسجد الأقصى المبارك مقابل رباط المنصوري.

2- التسمية: سمي هذا الرباط برباط علاء الدين البصير، علماً بأن علاء الدين كان أعمى.

3- المنشئ: الأمير علاء الدين ايدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي المتوفى سنة 693هـ/1293م، وكان ناظر الحرمين الشريفين ودفن في مقبرة مأمن الله في القبة الكبكية، وقد زرتها وشاهدتها بنفسي والبعض يقول بأنه دفن في رباطه وأنا أرجّح القول الأول.

4- تاريخ الإنشاء: أنشأه علاء الدين وأوقفه سنة 666هـ/1267م في عهد الملك الظاهر بيبرس، ويعتبر هذا الرباط من أقدم الأربطة في مدينة القدس[1].

5- وصف البناء: يتكون هذا الرباط من ثلاث وحدات:

الوحدة الأولى:

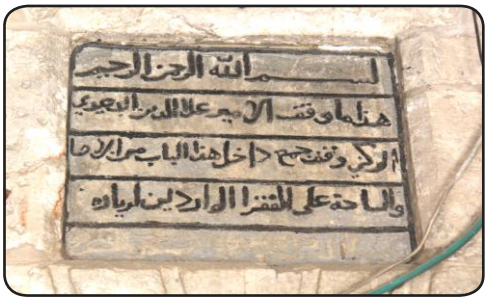

عبارة عن مدخل جميل ومعقود واصغر بكثير من مدخل رباط المنصوري وعلى حافته الشرقية مكسلة صغيرة وفوق بوابته نقش التأسيس جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما وقفه الأمير علاء الدين ايدغدي الركني، وقف جميع داخل هذا الباب من قباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف وقفاً مؤبداً في سنة ست وستين وستمائة"[2].

الوحدة الثانية:

عبارة عن ساحة مكشوفة يحيط بها عدد من الغرف والخلاوي ومسجد ويتوصل إليه عبر المدخل المذكور التي تؤدي إلى دركاه مسقوفة بطريقة القبو المتقاطع وتؤدي الدركاة (الموزع) إلى الساحة المكشوفة ومجموعة الغرف والخلاوي حولها.

الوحدة الثالثة:

---

1 العسلي، معاهد العلم، ص320.

2 Borgoyne Michaed Hamilton Mamluk Jenusalem p56

عبارة عن المسجد الذي يقوم في الجهة الجنوبية الغربية من الساحة المكشوفة والمسقوف بأقبية متقاطعة، ويوجد في منتصف واجهة المسجد الجنوبية محراب بحنية مجوفة داخلة فيه كما توجد غرف على الطريق العام فيها منبر ينسب إلى واقفه وهناك غرف أخرى أضيفت مؤخراً في الساحة المكشوفة نتيجة اكتظاظ السكان[1].

6- وظيفة الرباط ودوره: خصص لإقامة الفقراء والمجاورين للمسجد الأقصى المبارك والزوار، والعارف في المفصل والمصادر تقول انه مدرسة أطلقوا عليها اسم المدرسة الاباصيرية بمعنى أن له دوراً فكرياً وثقافياً إضافة إلى دوره الاجتماعي والديني.

وفي أوائل العهد العثماني اتخذ مسكناً لجماعة التكارنة الذين جاءوا في الأصل من دارفور بالسودان، وهؤلاء التكارنة كانوا يقومون بحراسة المدارس وغيرها من المؤسسات العلمية، لكن في أواخر العهد العثماني اتخذ هذا الرباط سجناً للمحكوم عليه لمدة طويلة أو بالإعدام، لذا كان يطلق عليه اسم (حبس الدم) وظل هذا الوضع حتى بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين[2].

7- أوقاف الرباط: جاء في سجل المحكمة الشرعية بالقدس (522 ص14) ما يلي عن وقف علاء الدين البصير: "يصرف الناظر بعد العمارة في الرباط والصهريجين به والمطهرة المختصة به وباقي رقبة الوقف لتعمير الرباط المذكور في كل شهر ثمانية دراهم، وعليه كنس وغلقه وفتحه وتنظيفه..... طهارته وإيقاد مصابيحه، وينير مصباحاً في كل ليلة إلى الصباح احدهما بمجمع الرباط والآخر بالطهارة ومن الخبز في كل يوم نصف رطل بالقدسي ويصرف الناظر ما يرى من ثمن حبل ودلو وقناديل وأباريق وحصر... فرش المجمع الذي بالرباط المذكور، وما فضل بعد ذلك في ثمن خبز متوسط؟ ويصرف على الفقراء والمساكين والواردين في هذا الرباط لكل فقير منهم في كل يوم رطلان من الخبز المذكور بالرطل المصري في خمسة أيام ولا يزيد في الصرف على ذلك، وان ضاق الصرف إلى كل واحد خمسة

---

1 حمد، من آثارنا، ص355.
2 إحياء التراث، منارات مقدسية، ص122.

أيام صرف لكل واحد منهم ثلاثة أيام فان كثر الواردون فيه وضاق الوقف عن استيفائهم؟.... من ضيوفهم على من يرد بعده من الفقراء النظر على الرباط المذكور وأوقافه لمن يكون إمام الصخرة المشرفة كائناً من كان، تاريخ الوقف في سنة 741هـ، الدار المجاورة لدار الرباط المذكور بالقدس ومنها الحوش الملاصق للدار المذكور بالقدس، الدار المجاورة لتربة الواقف.... بالقدس، طاحون وفرن بالوقف القديم بالقدس، القبو بوادي الطواحين بالقدس الدارين الملاصقين المجاورين بالقدس، الصهريج الذي بالوقف القديم بالقدس جميع الصهريج وخان بالقدس، الحمام المعروف بالواقف في القدس[1].

** **وهناك وقف محمد وصوباجي على الرباط المذكور تاريخ الوقفية 941هـ عبارة عن قبو الحمام بأرض خان الظاهر بالقدس، خالد بخط وادي الطواحين حوانيت أربعة.**

** **وأيضاً وقف المرحوم الشيخ علاء الدين البصير على الرباط جوار المسجد الأقصى في سجل رقم (602) وتاريخ سنة (824)[2].**

** **وفي سجل (202) ص272، صفر 1116هـ/22 حزيران 1704م الحاكم الشرعي مفخر المدرسين محمد أمين أفندي، يثبت أن السيد شرف الدين ابن أبي النصر مستأجر الدار الواقفة بخط الناظر الجارية في وقت علاء الدين البصيري صرف مائتين وعشرين غرشاً عدديا في تعمير الدار المأذون له به من مفخر المدرسين صنع الله أفندي الخالدي متولي الوقف وقد تبرع المستأجر بثلاثين غرشاً، وصار الباقي وقدره مائة وتسعون غرشاً ديناً له على جهة الدار ووقفها، بعد أن أكد الكشف ذلك[3].**

** **وجاء في سجل 220 ص38، 22 ربيع الأول 1115هـ/7 آب 1703م بأن المستأجر للدار والحاكورة إبراهيم آغا بن أحمد جوربحي قد دفع لمتولي الوقف ثلاثين غرشاً عددياً.**

---

1 العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 240، ص242.
2 من آثارنا، ص356.
3 العسلي، معاهد العلم، ص317.

** وفي نفس السجل ص420، 9 شعبان 1115هـ/7 كانون أول 1704م الحاكم الشرعي يأذن للسيد شرف الدين بن ابي النصر بمباشرة وظيفة السكن بحجرة رباط سيدي الشيخ علاء الدين البصيري عوضا عن قادري بن احمد بوكباش الفارغ له بعوض سبعة غروش مقبوضة.

يا ليت الصدق يعود يوما!!

خالد أبو جمعة

الحمد لله العفوّ الغفور، والعليم بذات الصدور، أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده بالصّدق، واجتناب الكذب، وقول الزور، وحثَّ النبي ﷺ الناس على الصدق، فالمؤمن يخشى الله، ويحرص على مرضاته، ويتقرّب إليه بالطاعات، واجتناب المُحرَّمات، ويصدق في قوله حتى ينال محبته، فالله يحب الصادقين، وصفة الصدق هي من صفات تقوى الله ومخافته، والصَّادق بين الناس قريب إليهم، ومكانته بينهم كبيرة، فمحبة الله للصَّادقين تزرع محبة الناس لهم في القلوب، والكذب صفة المنافقين التي ينفر الناس منها، ويبتعدون عن الذين يتصفون بها لأنّها من الصفات المكروهة، وصاحبها منبوذ.

فالصِّدق خلق إسلاميّ وإنسانيّ عظيم، ويعدّ قوام التواصل الاجتماعي وعنوان ديمومة العلاقات البشرية، بوجوده تتوثق روابط العلاقات، وتدوم به المودّات، فهو يُساهم في تقوية النسيج الاجتماعي، وبث روح المحبّة في المجتمع لما يحمل من بذور الخير للمجتمع بأسره، كما لا يمكن أبداً أن نتصور كيف سيكون شكل مجتمعٍ يعيش أفراده على الكذب، فهذا مجتمعٌ عديم الرَّوابط، وعن المشاكل والأزمات بينهم حدّث ولا حرج، فروابطُ المودة بينهم مُتقطِّعة، أضف إلى ذلك النِّزعات والشحناء، فبالكذب يقع الهجران والخصومة، وقد يفضي الأمر إلى ما هو أكبر من ذلك بكثير؛ مِنْ نزاع إلى شِجار ثمَّ هجران، وقطيعة أرحام وجيران وأحبابٍ وأصدقاء. بسبب ذلك

إليك أخي القارئ الكريم إطلالة سريعة نطلّ من خلالها على هذا الخلق الإسلامي والإنساني العظيم، نتفيّأ ظلاله الجميلة، وآثاره العطرة.

في البداية: إن الصِّدق من أعظم الأخلاق التي يتصف بها إنسان؛ لذا كان محل عناية القرآن؛ للدلالة على أن المجتمع المسلم يجب أن يتَّصف بهذه الصفة الرائعة صفة الصدق؛ لأنها مفتاح كل خير، ولقد تضافرت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة الحاثّة على الصدق وعلو شأنه، ومن ذلك ما يلي:

أنَّ الصدق من صفات الله ـ تعالى ـ: *قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*[1]. وقال ـ جل شأنه ـ: *وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا*[2]. وقال ـ جل ذكره ـ: *اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا*[3].

يقول إمام المفسرين ابنُ جرير الطبري في تفسير قوله ـ تعالى ـ: [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا]، وأيُّ ناطق أصدقُ من الله ـ تعالى ـ حديثاً؟ وذلك أنَّ الكاذب إنما يكذبُ ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعاً أو يدفعَ به عنها ضراً، والله ـ تعالى ـ ذكره خالق الضرِّ والنفع، فغير جائزٍ أن يكون منه كذبٌ. أ .هـ

والصدق من صفات الرسل ـ عليهم السلام ـ كيف لا! وهو خلق الأنبياء، فأول ما يجب أن يتصف به النبي هو الصدق، إذْ يستحيل أن يبعث الله ـ تعالى ـ كذَّاباً فتأييد الله ـ تعالى ـ له بالآيات البينات دليل على صدقه، كما أن اتباع الناس له، وظهور أمره كل ذلك يدل على صدقه، قال الله ـ تعالى ـ في إبراهيم ـ عليه السلام ـ:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا[4].

وقال في إدريس ـ عليه السلام ـ مثل ذلك، وقال في إسماعيل ـ عليه السلام ـ:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا[5].

وقال في يوسف ـ عليه السلام ـ: *يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيقُ أَفْتِنَا...*[6].

---

1 آل عمران95.
2 النساء122.
3 النساء87.
4 مريم: 41.
5 مريم: 54.
6 يوسف: 46.

ولا نستغرب أبداً! أنَّ العرب في جاهليتهم وقبل بعثة النبي ﷺ يُلقِّبونه بالصادق الأمين، حيث أصبحت صفة ملازمّة له ﷺ فما أُثرَ عنه كذب قط. ويكفي الصدق شرفاً وفضلاً أن مرتبة الصدِّيقية تأتي في المرتبة الثانية بعد النبوة قال ـ تعالى ـ:

***وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا*[1].**

ومن هنا، يجب على المسلم أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله وعقيدته؛ لأنَّ الصدق هو استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، أي مُطابقة منطوق اللسان للحقيقة، وبمعناها الأعم مطابقة الظاهر للباطن، فلا تُكذِّب أحوالُ العبد أعمالَه، ولا أعمالُه أحوالَه، فهو صادق مع الله بإخلاص الأعمال كلها لله ـ تعالى ـ ومع النَّاس فلا يكذب في قوله وفعله وصادق مع نفسه، فيعترف بعيوبه وأخطائه ويصححها ويتوب إلى الله.

لذلك كلنا يسعى إلى الراحة، ويَنشدُ الرضا، ويبحث عما يزيد إيمانَه، ويرتقي بأخلاقه؛ لينال مرتبةً عالية في الدنيا والآخرة؛ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: (إن الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة، وإنّ الرّجل ليصدق حتى يكون صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ الرّجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[2].

فالصدق خلق كريم، لا يتَّصف به إلاَّ ذو القلب السليم، وقد أمر الله ـ تعالى ـ به في كتابه، فقال ـ سبحانه ـ:

***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ*[3].**

حاجة المجتمع للصِّدق:

إن الصدق من أجَلِّ الأخلاق وأعظمها، وهو منبع كثير من الفضائل الخُلقية، لأنَّه أساس الفضائل النَّفسية، وهو ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية؛ بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد وللأمة، ولعل أصدق ميزان لرقيِّ أمةٍ من الأمم، صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، لذلك أمر الله ـ عز وجلَّ ـ المؤمنين بالصدق في جميع أحوالهم، قال ـ تعالى ـ:

---

1 النساء: 69
2 متفق عليه.
3 التوبة: 119.

***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ*[1].**

ووعدهم بأجزل المثوبة عليه فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: *لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ*[2].

وبيّن لهم أنَّ عاقبته في الدنيا خير، فقال ـ تبارك وتعالى ـ: *فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ*[3]. ونَوَّه بأثره في الآخرة فقال: *هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ*[4].

فهنيئا لهم بالصدق الذي نالوا به المنزلة والأجر والثَّواب من الله.

ممَّا سبق يتبيّن لنا مدى حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطرًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية، تعتمد على صدق الكلمة، فإذا لم تكن هذه الكلمة معبرة تعبيرًا صادقًا عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حاجاتهم ونعرف فيها حقيقة أخبارهم، ولولا الثقة بصدق الكلمة، لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعًا قائمًا على الكذب؛ لندرك مبلغ تفككه وانعدام صور التعاون بين أفراده.

فكيف يكون لمجتمع ما كيان متماسك وأفراده لا يتعاملون فيما بينهم بالصدق؟! وكيف يكون لمثل هذا المجتمع رصيد من ثقافة، أو تاريخ، أو حضارة؟!

كيف يوثق بنقل المعارف والعلوم إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني؟! كيف يوثق بنقل الأخبار والتواريخ إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع؟!

كيف يوثق بالوعود والعهود ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس؟!

كيف يوثق بالدعاوى والشهادات ودلائل الإثبات القولية ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس؟!.

تأثير الصدق في حياة الإنسان:

---

1 التوبة: 199.
2 الأحزاب: 24
3 محمد: 21.
4 المائدة: 199.

بالرغم من أنّ تأثير الصدق في حياة الإنسان يعدّ بديهيّاً وتوضيح هذا الأمر يعدّ من توضيح الواضحات، ولكن عندما ندخل تفاصيل المسألة نواجه المعطيات الإعجازية الكبيرة للصدق في جميع مفاصل الحياة البشرية، والالتفات إلى هذه المعطيات المهمّة بإمكانه أن يكون دافعاً قوياً للتحلّي بهذه الصفة الأخلاقية الكبيرة، وأول تأثير للصدق في حياة الإنسان هو مسألة الثقة وجلب الاطمئنان والاعتماد المتقابل بين أفراد المجتمع في حركة التفاعل الاجتماعي.

ونعلم أنّ أساس الحياة الاجتماعية للإنسان هو العمل على المستوى الجماعي ولا يتسنى ذلك إلاّ بأن يتعامل أفراد المجتمع فيما بينهم من موقع الثقة المتبادلة واعتماد البعض على البعض الآخر، وهذا المعنى لا يتحصّل إلاّ بتوفر عنصر الصدق والأمانة بينهم، لذلك يعتبر الصِّدق مِنْ أجل وأهم الوسائل المؤثِّرة في جذب ثقة النَّاس، وبالمقابل يعتبر الكذب مِنْ أخطر الوسائل لهدم العلاقات الاجتماعية وتخريب أواصر المودّة بين أفراد المجتمع الواحد، وهنا لا فرق في هذا الأمر بين المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

فالرجل السياسي المحنّك والذي يعتمد عليه الناس إذا تورط في هذا الخلق الذميم (الكذب**) وعُرف وانتشر بين النَّاس، فإنَّ النَّاس سيبتعدون عنه، ولن يثقوا به مطلقا، ونحن نرى ذلك بوضوح في الدول الغربية إذا كُشفَ أنَّ مسؤولاً يُمارس الكذب كيف يُقصى من الحياة السياسية، لأنَّ الكذب أدَّى إلى خسارة نفوذه وشخصيته بين الناس، وكذلك العالم أو المكتشف إذا تلّوث بالكذب في تحقيقاته العلمية فَقَدَ ثقةَ واعتماد المحافل العلمية باختراعاته وتحقيقاته وبالتالي تذهب جهوده وأتعابه أدراج الرياح وتكون تحقيقاته المدوّنة حبراً على ورق.**

والمؤسسات الاقتصادية أيضاً إذا تعاملت في الإعلان عن منتوجاتها وبضائعها من موضع الكذب والدجل فإنّ الناس سوف لا يثقون بمنتوجاتها بعد ذلك وسوف تخسر هذه المؤسسات زبائنها سريعاً.

وفي الدَّوائر الإدارية، إذا لم يصدق المدير مع مرؤوسيه وموظفيه فإنّ نظم هذه الدوائر أو المؤسسة سوف يتلاشى بالتأكيد، وعلى هذا نصل إلى هذه النتيجة وهي أنّ أساس جميع أشكال التقدّم المعنوي والمادي في المجتمع يتمثّل بالاعتماد على الصدق بين أفراد المجتمع.

درجات الصدق**:** من أظهر درجات الصدق**:**

الدرجة الأولى: صدق اللسان، **وهي من أعظم المراتب، وأشقّها على النفس، لكن ليس الصدق منحصراً فيها كما يظن كثير من الناس، وهذا النوع من الصدق يستلزم أموراً ثلاثة:**

[1] الصدق في نقل الأخبار: **كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**[1].

[2] اجتناب الظنون والأوهام: **كما قال النبي ﷺ** (إياكم والظّن فإنّ الظّنّ أكذب الحديث)[2].

[3] الحذر من التحدُّث بكلِّ ما يُسمع: **كما بيّن ووضح ذلك رسول الله ﷺ:** (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكلّ ما سمع)[3].

الدرجة الثانية: الصدق في النية والإرادة، **يرجع ذلك إلى الإخلاص، ويُعبَّر عنه بصدق القلب في إخلاص العمل لله ـ تعالى ـ لأنَّه أساس القبول، فصدق النيّة هو الباعث لحركات وسكنات العبد في سيره إلى الله ـ عز وجلَّ ـ فإن مازجه حظٌّ من حظوظ النفس بطل صدق النية، لذلك لا بدَّ للعبد أن يحقق الصدق؛ ليقبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ منه طاعته، وليجيبه وليجعله من المقبولين عنده، لذلك من نوى نية ثم لم يستطع أن يعمل بما نوى من العمل الصالح كتب الله له أجر ما نوى، كما قال ﷺ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النَّبيّ ﷺ قَالَ:** (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه)[4].

ومن ذلك حديث الثلاثة الذين هم أوَّل مَنْ تُسعَّر بهم النار يوم القيامة؛ بسبب عدم صدقهم في النية والإرادة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثُمّ أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قالَ:

---

1 الحجرات: 6.
2 رواه البخاري ومسلم.
3 رواه مسلم.
4 صحيح مسلم.

تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلّمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثمّ أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصْناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثُم أُمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[1].

قال الإمام النووي: قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار، دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله ـ تعالى ـ:

*** وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ***[2].

وفيه أنَّ العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله ـ تعالى ـ بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمولٌ على من فعلَ ذلك لله ـ تعالى ـ مخلصاً . أ. هـ.[3].

الدرجة الثالثة: الصدق في العمل: **وهذا يستلزم أن يجاهد المرءُ نفسَه لتكون سريرته وعلانيته واحدة، وألاَّ تدل أعماله الظاهرة على أمر باطن لا يتصف به حقيقة؛ كمَنْ يتظاهر بالخشوع في الظاهر، والقلب ليس كذلك.**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ قَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ"، قَالَ: قِيلَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: "أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ"[4].

وقد فرّق ابن القيم ـ رحمه الله ـ بين خشوع النفاق المبني على الكذب والدَّجل، وخشوع الإيمان الذي أساسه الصدق والإخلاص في العمل، فقال ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح[5]**: خشوع القلوب لله بالتعظيم والإجلال، والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل، والحب والحياء، وشهود نعم الله**

---

1 مسلم.
2 البينة: 5.
3 شرح النووي على صحيح مسلم 46/5.
4 أخرجه احمد فى الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان، وأبي شيبة في المصنف/كتاب الزهد.
5 ص 323.

وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح، وأما خشوع النفاق، فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً، والقلب غير خاشع.... إلى أن قال: فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره؛ فانجلى الصدر، وأشرق فيه نور العظمة؛ فماتت شهوات النَّفس للخوف و الوقار الذي خُشي به، وخمدت الجوارح، وتوقَّر القلب واطمأن إلى الله وذِكْره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه، فصار مخبتاً له، والمخبت: المطمئن، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء- فكذلك القلب المخبت قد خشع و اطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستشعر فيها، وعلامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالاً وذُلاً وانكسارًا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه.

وأما القلب المتكبر فإنه قد أهتز بتكبره وربى، فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء، فهذا خشوع الإيمان، وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعاً ومُرَاءَاة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإيرادات، فهو يخشع في الظاهر، وحَيَّة الوادي وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة. أ. هـ.

وقال يزيد بن الحارث ـ رحمه الله ـ: "إذا كانت سريرةُ الرجل أفضلَ من علانيته فذلك الفَضْل، وإذا كانت سريرةُ الرجل وعلانيتُه سواء فذلك النَّصَف، وإذا كانت علانيتُه أفضلَ من سريرته فذلك الجَوْر"[1].

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْجَزَرِيِّ، قَالَ: "كَانَتِ الْعُلَمَاءُ إِذَا الْتَقَوْا تَوَاصَوْا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَإِذَا غَابُوا كَتَبَ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ"[2].

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه إحياء علوم الدِّين[3]: "الصدق السادس وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور، فإنَّ هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق، والصَّادق المحقِّق

1 الدرة الفريدة شرح الياقوتة الفريدة: ج1/ص290.
2 الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا.
3 ص391/ج 4.

من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمّت حقيقته سُمِّيَ صاحبه صادقا فيه كما يقال: فلان صدق القتال، ويقال هذا هو الخوف الصادق، وهذه هي الشهوة الصادقة، وقال الله ـ تعالى ـ:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[1].

وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الإيمان فقال سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان فقرأ هذه الآية:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ[2] أ. هـ.

الدرجة الرابعة: الصدق في الوفاء بالوعد، إنَّ صدق الوعد والوفاء بالعهد خلق عظيم وصفة كريمة تدل على شرف النفس وقوة العزيمة، وإن الله ـ تعالى ـ لا محالة سائلنا عنه يوم القيامة، يقول ـ تعالى ـ:

وَأَوفُوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسؤُولاً[3].

ثم إنَّ ربنا سوف ينظر كيف تعامل كل واحد منا مع عهد الله وميثاقه، فيكافئ كلا بما يستحق:

فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفسِهِ وَمَن أَوفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيهُ اللَّهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجرًا عَظِيمًا[4].

إذا كان الواجب يحتّم علينا أن نحافظ على وعودنا وأن نوفي بعهودنا التي نقطعها على أنفسنا بين الحين والحين وعند هذه المناسبة أو تلك فإنَّ العقل والمنطق

---

1 الحجرات: 15.
2 البقرة: 177.
3 الإسراء: 34.
4 الفتح: 10.

والمصلحة تقتضي أن نكون أرعى وأحفظ لذلك العهد الذي أخذه الله علينا في عالم الغيب عالم الذر قبل أن نصير إلى هذه الدنيا، يقول ـ تعالى ـ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[1].

لذلك لا بدَّ من الوفاء بعهد النَّاس، سواء كان على مكان معين أو زمان معين أو أُعطية معينة أو أيِّ أمر يَعِدُ به الرجلُ أخاه، فالوفاء من شيم الكرام والغدر من صفات اللئام، وللأسف الشديد فإنَّ هذا النوع من الصِّدق لا زلنا نفتقده كثيراً في واقعنا، وقَلَّ مَنْ يحرص عليه، وقد جعل الشرعُ إخلافَ عهد الناس، والغدرَ فيه من أشد أنواع الكذب؛ بل جعله من أركان النفاق، وآياتِ المنافقين؛ كما قال ﷺ: (آية المُنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلَف، وإذا اؤْتمن خان)[2].

فالمُؤمِنون الذين اهتدَوْا بربهم يحافِظون على الموعد ولا يُخلِفونه، وأما المنافقون والكفار فقدوتُهم الشيطان في إخلاف الموعد، فعلى المسلِمين أن يلتزموا بما وعَدوا، وأن يتمثلوا أخلاقَ الإسلام وما دعا إليه، فكم من الناس من يعيب على المسلمين في هذا الزمان عدمَ التزامهم بالوعود، وإخلالَهم بها، فلا يفي مقترضٌ بما وعَد من ردِّ الدَّين، ولا يفي صانعٌ بما وعَد من إنجازِ عملِه، ولا يفي رجلٌ بما وعَد من زمن للحضور، فلا يحضُرُ إلا متأخِّرًا، حتى صار هذا الخُلفُ بالوعد سِمةً في كثيرٍ من مسلمي اليوم، ويُحصيه عليه أعداؤُهم، ويعُدُّه الجهَّال من صفات المسلمين، وما هو من صفاتِهم، إنما هو خَصلة من خِصال المنافقين، والمُسلِمُ الملتزم بريءٌ من إخلاف الوعد. فالمسلم ملتزم بوعده وعهده لأنَّه ذاق لذّة الصِّدق فشعر به ولو يَعلَمه أهلُ القلوب المريضة والنفوس المتشبعة بالكذب، لتَمَنَّوْا أن يعيشوه لحظة واحدةً، فلا أخلاق لمن يكذِب، ولا إيمان لمن يكذِب، هذا جانب ومن جانب آخر المؤمن لا ينسى أبداً أنَّ الصادقين سيجدون ثمرة صدقهم يوم القيامة إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال ـ تعالى ـ:

---

1 الأعراف: 172-174.
2 البخاري ومسلم.

***قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*[1].**

أخي القارئ: **مَنْ يتحلَّى بالصدق؛ فإنه يُرزق بإذن الله ـ تعالى ـ طمأنينة القلب، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في قوله:** (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإنّ الصّدق طُمأنينة، وإنّ الكذب ريبة)[2]، **والمعنى: دع ما يوقعك في التُّهمة والشك، وتجاوَزْه إلى ما لا يوقعك فيهما.**

فوائد الصِّدق:

هذه الفوائد تعود على المسلم الصَّادق بالأمور التالية:

[1] الشعور براحة في القلب: **لأنَّ التحدث مع الآخرين بصراحة ومصداقية يجعل العبد المسلم أكثر شفافية مع الناس، وبالتالي سيُصبح موضع تقدير واحترام وإعجاب مَنْ حوله، هذا الصِّدق يجعل المسلم أكثر قرباً وتواصلاً مع من حوله.**

[2] مُواجهة جميع المخاوف الداخلية: **فقول الصدق يُعزّز القدرة على مواجهة أية مخاوف كانت تُظلِّل العلاقة غير الصريحة مع الآخرين، فمثلا أخي القارئ الكريم تذكّر آخر مرة كذبت فيها على شخص في حديثك معه وجهاً لوجه، كيف كان شعورك لحظتها؟ هل شعرت بتأنيب للضمير خشية افتضاح أمرك؟ وهل كان قلبك مرتاحاً مع ذلك؟ بالتأكيد لا!!؟؟ (مثال فقط).**

[3] تحمي المسلم من المشاكل: **فالصدق هو حاجز الحماية الذي يمنع من السقوط في الحفرة مرة تلو أخرى، فإذا انتهج المسلم الصدق وكانت الصراحة أساساً راسخاً في التعامل مع الناس، سيجعله أهلاً لثقتهم ومقرباً منهم، ومستودعاً لحكاياهم وأخبارهم، فالثقة بالآخرين باتت أمراً صعباً هذه الأيام على الرغم من حاجة الناس لمن يقاسمونهم دواخلهم، فالخداع يضر بالعلاقات بين الأفراد.**

---

1 **المائدة: 119.**
2 **رواه الترمذي.**

[4] تُؤدي إلى التطور الوظيفي: **فالموظف الصَّادق هو موظف منتج ومعطاء، فكيف يمكن أن نتخيَّلَ موظفاً في مؤسسة تضطر يومياً للكذب لترضي أحد موظفيها، بطريقة الكذب والدَّجل والواسطة، فالصدق هو الأبقى، مع ضرورة اليقين بأن الصدق يفجر الطاقات الإبداعية ويحفز على إنتاج الكثير والغزير من الأعمال الفريدة لأنَّ مِنْ آثر الصدق هو الاستقرار والإخلاص .**

متى يكون الخراب؟؟!

إذا انتشر الكذب في المجتمع، تضيع الثقة بين الناس، وتُثار الفتن بينهم، فيُشاع التدليس والخبث والمكر فيما بين النَّاس، وهذا يُودي إلى إفساد محبة الأصدقاء والأقرباء وتدمير الروابط الأسرية فتُنْتَهك الحرمات والكرامة، وخاصة بعد التّطور العملي الهائل بالتواصل الاجتماعي، فالاستخدام الخاطئ لهذه المواقع أدَّى إلى هدم كيان المجتمع وإفساد العلاقة بين أفراده، وفضح عيوب الناس وتتبع عوراتهم، وهذا يُشعل نار العداوة والبغضاء في المجتمع، وما يلحق من انتشار الجرائم بسبب الوشايات والتلفيق والدجل.

وعلينا أن نعلم جيداً!! أنَّ الذي يُحقِّق التقوى هو الإيمان الكامل الصادق، فالصِّدْقُ في الإيمان وفي الإسلام والصِّدق في الأخلاق، فمن تحصَّن بالصِّدق حُجِزَ عن الكذب وعن سائر المحرمات وكبائر الذنوب، لقوة إيمانه وصدقه في عبادته وعظم خشيته منه لكمال علمه به. ندعو الله أن نكونَ مِن الصادقين الحائزين، آمين يا رب العالمين.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأحكام الشرعية للتأمينات النقدية

الأستاذ وليد قاروط
مدرس التجويد في كلية القرآن والدراسات الإسلامية ـ جامعة القدس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فإن التأمينات النقدية من المسائل المعاصرة التي تتعامل بها نسبة ليست بالقليلة من الناس، ولمّا ثبت أنه لا يخلو أي مصرف إسلامي من التعامل بها، وأيضًا لمّا تعلقت بهذا الموضوع بعض الشبه التي قد تُدخل المتعامل بها في الربا، كان لا بُدّ من الكلام عن التأمينات النقدية. ولكي يتم معرفة حقيقة التأمينات النقدية، فلا بدّ من تعريف كل جزء على حدةٍ في اللغة، ومن ثَمّ تعريف المركب اصطلاحًا.

أولا: حقيقة التأمين النقدي

التأمين لغة[1]: **مأخوذ من المصدر (الأمن)، والأمن مأخوذ من الجذر الثلاثي أَمِنَ، والأمان والأمانة بمعنى. والأمن: ضد الخوف. والأمانة: ضد الخيانة. والإيمان: ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم وكذب به قوم.**

ورجل أمين: موثوق. ومؤتمن القوم: الذي يثقون إليه ويتخذونه أمينًا حافظًا. والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان.

النقد لغة[2]: **خلاف النسيئة. والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منه.**

وقد نقدها ينقدها نقْدا وانتقدها وتنقدها ونقده إياها نقدًا: أعطاه فانتقدها أي قبضها. والدرهم نَقْدٌ، يقال: هذه مائة نقد. ونَقَدَ الطائرُ الحَبّ ينقده إذا كان يلقطه واحدًا؛ واحدًا.

التأمينات النقدية اصطلاحًا: **لم أجد تعريفًا للتأمين النقدي بين المعاصرين، ووجدتهم يستعملون هذا المصطلح كأنه مصطلح متعارف عليه بينهم لا يحتاج إلى إيضاح.**

وعند ربط المعاني اللغوية للتأمين والنقد مع المعنى المتعارف عليه في المصارف للتأمين النقدي، ومع حقيقة أن التأمين النقدي هو نوع من أنواع الرهن،

---

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة أمن، 13\21.
2 المصدر نفسه، مادة نقد، 3\425.

أقول: إن التأمين النقدي في المصارف الإسلامية هو: المبلغ الماليّ النقدي المُعجل قبضُه الذي يودعه عميلُ المصرف أو من في حكمه في حساب عند المصرف ليُستوفى منه إذا تعذر الوفاء؛ وذلك ضمانًا لحق المصرف فلا تحصل الخيانة من جهة العميل أو من في حكمه.

ثانيًا: أهمية التأمينات النقدية للمصارف الإسلامية

تستمد المصارف الإسلامية مواردَها المالية من ثلاثة مصادر[1]:

[1] رأس المال والاحتياطيات.

[2] الودائع.

[3] التأمينات النقدية.

فبهذا يتبين أن التأمينات النقدية لها أهمية كبيرة في المصارف الإسلامية، وقد لا يقوم المصرف دونها.

ثالثا: استعمالات التأمينات النقدية

للتأمينات النقدية في المصارف استعمالات عديدة، منها ـ على سبيل المثال ـ:

[1] في تسهيلات خطابات الضمان[2] **وخطاب الضمان هو: تعهد المصرف بدفع مبلغ معين لطرف ثالث عند إخلال العميل بالتزامه في مدة معينة[3]. وله أنواع، وفي تكييفه الفقهي وحكمِه خلاف ليس هذا موضع بسطه.**

وصورة استعمال التأمين النقدي في خطاب الضمان: أن تكون هناك معاملة بين عميل المصرف وبين طرف آخر، فيلجأ العميل إلى المصرف لكي يضمنه في حال إخلاله بالتزامه للطرف الآخر؛ فيقوم المصرف برهن مبلغ ماليّ نقدي من العميل ليستخدمَه في تلك الحال؛ وهذا المبلغ هو التأمين النقدي.

---

1 رائد حماد، موقع مجموعة مستثمرون:
.http://mosgcc.com/mos/magazine/article.php?storyid=491

2 مشعل، عبد الباري، التكييف الشرعي لرهن النقود في البنوك الإسلامية:
http://www.assabeel.net/essays/item/53332
التكييف – الشرعي – لرهن – النقود – في – البنوك ـ الإسلامية.

3 الزحيلي، خطاب الضمان، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد 8.

[2] في الاعتمادات المستندية[1] **والاعتماد المستندي هو تعهد البنك للمستفيد ـ وهو البائع ـ بناء على طلب فاتح الاعتماد ـ وهو المشتري ـ بأنه قد اعتمد تحت تصرف المستفيد ـ مبلغًا من النقود يدفع له مقابل مستندات محددة تبين شحن سلعة معينة خلال مدة معينة[2]. وفي تكييفه الفقهي وحكمِه خلاف ليس هذا موضع بسطه.**

وصورة استعمال التأمين النقدي في الاعتماد المستند: أن يطلب العميل من البنك شراء سلعة من دولة أخرى مثلًا، وذلك حسب الصورة المذكورة في التعريف، فيقوم المصرف ـ ضمانًا لحقه ـ برهن مبلغ مالي نقدي من العميل، وهذا المبلغ هو التأمين النقدي.

[3] **أن يرهن العميل عند المصرف مبلغًا ماليًّا بعملة معينة، ويأخذ من المصرف عملة أخرى، كأن يرهن عند المصرف ألفَ دينار، ويأخذ بدلًا منها مبلغًا بعملة أخرى[3]. وفائدة ذلك أن يخاف العميل من نزول سعر الصرف؛ فيأخذ عملة أخرى مقابل حجز المبلغ الذي عنده.**

[4] **أن يريد العميلُ شراء بيت مثلًا، وعنده المبلغ المالي لشراء هذا البيت، ولكن إن اشتراه دفعة واحدة فسترتفع سعر الضريبة عليه؛ فيقوم العميل برهن مبلغ ماليّ نقدي عند المصرف، ويشتري هذا البيت بالأقساط؛ مما يساعد العميل بتقليل سعر الضريبة، وهذا المبلغ هو التأمين النقدي[4]، وهذه الصورة غير موجودة في المصارف الإسلامية.**

[5] **أن لا يكون للشخص حساب في المصرف، ويريد استعمال بطاقة الصراف الآلي مثلًا التابعة لهذا المصرف؛ فيقوم المصرف برهن مبلغ ماليّ نقدي من**

---

1 مشعل، التكييف الشرعي لرهن النقود في البنوك الإسلامية، مرجع سابق.

2 حسن، أحمد، الأوراق النقدية في الاقتصاد الإسلامي، ص316، ط1، 1422هـ، دار الفكر، دمشق، بيروت.

3 أخبرني بذلك أحد موظفي المصارف، وذلك في مقابلة معه في يوم السبت 11\4\2015م، في الساعة السابعة مساء.

4 المرجع نفسه.

صاحب الطلب مقابل إعطائه للبطاقة لضمان حقه، وهذا المبلغ هو التأمين النقدي[1].

رابعًا: حكم التأمينات النقدية

في البداية؛ ولِتأصيل المسألة تأصيلًا صحيحًا، يجب معرفة أن التأمينات النقدية هي رهنٌ[2] للنقود في صورتها العامة[3]، ولذلك كان لا بُدّ من بيان حكم رهن النقود، وهذه مسألة تحتاج إلى بحث مستقل، والخُلاصة: جوازُ رهن النقود على ما اختارته هيئة المحاسبة بقولها: "الأصل أن يكون المرهون عينًا، ويجوز أن يكون دينًا أو نقدًا، أو مالًا مثليًا أو استهلاكيًا"[4].

والنقدان هما: الذهب والفضة، ويُقاس عليهما الفلوس؛ لعلَّةِ الثمنيّة. أمّا اشتراط المالكية لختم النقود فمعلوم أنه غير ممكن في المصارف.

وبعد هذا التأصيل، يجب هنا أيضًا معرفة طريقة تعامل المصارف مع التأمينات النقدية، فعندما يودع العميلُ المالَ في حساب التأمين النقدي لا يقوم المصرف بوضعها في حرز خاص؛ بل يخلطها مع باقي الأموال في المصرف، ولكنها تكون مميزة حسابيًا. أي إن أصل هذا المال مضمون على المصرف، وأرباحه إن استُثمر تكون من حق المصرف.

ولكن الرهن يجب حفظه كأمانة في حرز خاص به وعدم الاستفادة منه، إلا بأجر مثله؛ لشبهة الربا، وفصل بعض الحنفية في ذلك تفصيلًا جميلًا فقالوا[5]: إن شرط الانتفاع على الراهن في العقد، فهو حرام؛ لأنه ربا، وإن لم يشرط في العقد،

---

1 المرجع نفسه.

2 اختارت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية تعريفًا جامعًا للرهن، ألا وهو: جعل عين مالية أو ما في حكمها وثيقةً بدين يستوفى منها أو من ثمنها إذا تعذر الوفاء. انظر: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، المعيار الشرعي رقم 39، الرهن وتطبيقاته المعاصرة.

3 مشعل، التكييف الشرعي لرهن النقود في البنوك الإسلامية، مرجع سابق.

4 هيئة المحاسبة والمراجعة، المعيار الشرعي رقم 39، الرهن وتطبيقاته المعاصرة، البند 2/2/3.

5 ابن عابدين، مصدر سابق، 6\481.

فجائز؛ لأنه تبرع من الراهن للمرتهن. والاشتراط كما يكون صريحًا، يكون متعارفًا، والمعروف كالمشروط.

قال ابن عابدين: "والغالب من أحوال الناس أنهم إنما يريدون عند الدفع الانتفاع، ولولاه لما أعطاه الدراهم وهذا بمنزلة الشرط، لأن المعروف كالمشروط وهو مما يُعيِّن المنع"[1].

قال وهبة الزحيلي: "وهذا التفصيل هو المتفق مع روح الشريعة"[2].

ونصت هيئة المحاسبة على أنه: "لا يجوز للمرتهِن الانتفاع بالمرهون بدون عوض مطلقًا بإذن الراهن أو بغير إذنه، ويجوز بأجر المثل إذا كان بإذن الراهن"[3]. ولكن يتعذر وضع النقود المرهونة في حسابات التأمينات النقدية في حرز خاص بها، أو وضع الرهن الخاص بكل عميل في حرز خاص به كما ذكرتُ.

- وهنا يصبح للتأمينات النقدية حالتان يتبعُهُما حكمُهما:

الحالة الأولى: **أن يقوم المصرف بنقل النقود المرهونة في حسابات التأمينات النقدية من صيغة الاختلاط بباقي أموال المصرف، إلى الحسابات الاستثمارية مع الحجز عليها، حيث تستثمر في هذه الحسابات لصالح العملاء وفقًا لأحكام المضاربة والوكالة. وهذه الحالة هي الأصل والواجب عمله في المصارف؛ لتنتفيَ شبهة استفادة البنك من الرهن.**

وهذا الذي نصت عليه هيئة المحاسبة حيث قالت: "في حالة رهن حساب جارٍ لدى المؤسسة لصالحها، عليها أن لا تستخدمه لصالح المؤسسة، ويلزمها نقله إلى حساب استثمار بحيث يتحول من حكم القرض إلى أحكام المضاربة تجنباً لانتفاع المؤسسة(المرتهنة) به ويستحق صاحب الحساب ربح رب المال وتستحق المؤسسة ربح المضارب"[4].

---

1 المصدر السابق، 6\482.
2 الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، 6\4260.
3 هيئة المحاسبة والمراجعة، المعيار الشرعي رقم 39، الرهن وتطبيقاته المعاصرة، البند 9/2/3.
4 هيئة المحاسبة والمراجعة، المعيار الشرعي رقم 39، الرهن وتطبيقاته المعاصرة، البند 5.

الحالة الثانية: **أن لا يجد المصرف حسابات استثمارية كافية، أو تكون المدة قصيرة فلا يمكنه نقل المال إليها، ويبقى المال مختلطًا بأموال المصرف وقد يستفيد منها المصرف. وتأصيل هذه الحالة يكون بالرجوع إلى أموال الأمانات في الفقه، فإنها إن اختلطت بأموال الأمين، أو تصرف الأمين بها، فإنها تكون مضمونة على الأمين، ويكون له خراجها أو عائدها بسبب الضمان تطبيقًا لقاعدة الخراج بالضمان والغرم بالغنم. وهذه الحالة لم تسمح بها هيئة المحاسبة؛ لما فيها من شبهة الربا. إذن، بعد ذكر هاتين الحالتين، يتبين جواز إيداع النقود في المصارف في حسابات التأمينات النقدية إذا تم الالتزام بالحالة الأولى.**

خامسًا: زكاة التأمينات النقدية

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المال المرهون إذا بلغ النصاب، أو لم يبلغه ولكن إذا ضمّ الراهنُ إليه مالًا عنده، وجبت فيه الزكاة إذا حال عليه الحول؛ لأن المال المرهون ملك للراهن لا للمُرتهن[1].

ومثله أموال التأمينات النقدية، وهذا الذي نصت عليه هيئة المحاسبة حيث قالت: "تخضع للزكاة جميع الرهونات النقدية كالحسابات الجارية والتأمينات النقدية..."[2].

أمّا إذا لم يأذن المرتهن بذلك فيُزكي الراهن أيضًا من مال آخر ـإن كان عندهـ، أمّا إن لم يكن عنده، ومرت أكثر من سنة، فمن العلماء من قال: ينتظر حتى يفك الرهن ثم يخرج الزكاة عن السنوات الماضية كلها[3] والذي اختارته هيئة المحاسبة أنه يخرج الزكاة لسنة واحدة بشرط ألا يُمكن من استثمارها، ونصها: "التأمينات النقدية... يزكيها من يقدمها إذا قبضها لسنة واحدة"[4].

---

1 النووي، المجموع شرح المهذب، 5\343. والبهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، 2\174.

2 هيئة المحاسبة والمراجعة، المعيار الشرعي رقم 39، الرهن وتطبيقاته المعاصرة، البند 2/9.

3 المنجد، محمد صالح، موقع الإسلام سؤال وجواب: http://islamqa.info/ar/99311.

4 هيئة المحاسبة والمراجعة، المعيار الشرعي رقم 35، الزكاة، البند 3/5/1/5.

شخصية الرسول وأثره

للدكتور مصطفى السباعي
عظماء الإسلام

أن محمداً الرسول ﷺ فلن يفكر أحد أن يكون مثله أو قريباً منه، في إشراق روحه، واتصاله بالملأ الأعلى، يتلقى الوحي، ويتنزل عليه الهدى آيات بينات! لن يصل أحد إلى هذا ولا إلى قريب منه، لأن الله ختم بنبوته النبوات، وبشريعته الشرائع. إن محمد الإنسان، فهو هو الذي يحرص كل مسلم على أن يكون ظله في الأرض، يتخلق بخلقه، ويهتدي بهديه، ويأتي به في صبره وجهاده وزهده وعبادته وتضحيته وإيثاره ومأكله وملبسه، وما أعتقد أن الله أكرم رسول الله الإنسان بمدح أعلى من هذا المدح:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

تعال بنا لنتخطى أسوار الزمن حتى نصل إلى عتبه "محمد الرسول الإنسان" فنرى روح الحياة السارية المشرقة في مجتمع فاض بالبطولات والمروءات، حتى يكاد تاريخه يلتحق بالأساطير، لولا أنه حق لا مرية فيه، وصدق لا كذب معه.

أوصافة الخلقية:

قالوا في أوصافه ﷺ أنه كان: ظاهر الوضاءة، متبلج الوجه (مشرقه)، له نور يعلوه، إذا زال زال تقلعاً (رفع الرجل بقوة)، يخطو تكفياً (يميل إلى سنن المشي وقصده) ويمشي هوناً (الوقار)، ذريع المشية (واسع الخطو) كأنما ينحط من صبب (العلو)، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يمشي وراء أصحابه، ويبدر(يبدأ) من لقي بالسلام دائم الأحزان، متواصل الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله، وإذا تكلم أعاد الكلام ثلاثاً ليفهم عنه، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، أوتي جوامع الكلم، واختصرت له الحكمة اختصارا ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً غير أنه لم يكن يذم ذواقا (طعاما) قط ولا يمدحه،

---

1 سورة القلم، الآية 4.

ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، إذا نطق فعليه البهاء، وإذا صمت فعليه الوقار، أزين الناس منظراً وأحسنهم وجهاً، وأجودهم وأسخاهم نفساً، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وما سئل عن شيء قط فقال: لا، وما خُيّر بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثما.

تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ في مجامع خلقه: كان خُلُقه القرآن. ويقول علي ـ رضي الله عنه ـ في وصف شخصيته: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

معيشته في نفسه:

كان لا يتكلف في لباس ولا طعام، يلبس ما يتيسر ,وأكثر لبسه المعتاد من لباس الناس وكان يلبس جيد الثياب إذا اقتضى الأمر لمقابلة وفود، أو لمناسبة عيد، وكان يأكل ما يجده، فإن وجد اللحم والحلوى أكل، وإن لم يجد إلا الخبز والزيت أو الخل أكل، وإن لم يجد ما يأكله بات طاوياً، وربما شد على بطنه الحجر من شدة الجوع. وكان ينام على فراض من جلد حشوه ليف، ويجلس على الحصير وينام عليها كثيراً

معيشته في بيته:

كان ﷺ حلو المعاشرة لزوجاته، كثير المسامرة لهن، متحملا لأخلاقهن، وخاصة غيرتهن وكان يقول (خيركم خيركم لأهله**)[1] وكان نساؤه يحتملن منه شدة الحال وخشونة العيش، وكان يسره ذلك منهن، فلما فكرن يوما أن يطلبن منه التوسعة والزينة والمطعم، شق ذلك عليه وهجرهن شهراً لا يكلمهن.**

---

1 **حديث حسن صحيح رواه الترمذي في سننه رقم 3895.**

ثم نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

فلما نزلت هاتان الآيتان خيّر نساءه وبدأ بعائشة وقال لها: (ما أحب أن تختاري حتى تستأمري أبويك)[2] **ثم تلا عليها الآيات وفيها التخيير بين ان تبقى عنده على شظف العيش وخشونة الحياة، وبين أن يفارقها ويمتعها متاعا جميلا، فكان جوابها على الفور: "أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة!".**

وكذلك فعل بكل واحدة من نسائه على انفراد فكان جوابها كجواب عائشة، وهي لا تعلم بما أجابت به غيرها. وظل هكذا شأنه مع نسائه من التقشف وخشونة العيش حتى توفاه الله. تقول السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "ما شبع آل محمد يومين من خبز بر، ولقد كنا نمكث الشهر والشهرين لا يوقد في بيتنا نار، وكان طعامنا إلا التمر والماء، ولقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتنا شيء يأكله ذو كبد، إلا كسرة خبز من شعير على رف لي. وقال أنس: "رهن النبي ﷺ درعاً له على شعير يأخذه لطعام أهله".

عمله في بيته:

سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في البيت؟ فقالت: "كان بشراً من البشر، يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته، فإذا حضرت الصلاة خرج".

معاملته لأصحابه:

1- **يقول أنس خادم رسول الله ﷺ: "خدمت النبي عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ وكان لا يظلم أحداً أجره".**

---

1 سورة الأحزاب الآيتان 28 و 29.

2 رواه البخاري ومسلم.

2- **وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "ما ضرب شيئاً قط، ولا ضرب امرأة ولا خادماً".**

3- **وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: "دخلت السوق مع رسول الله ﷺ ليشتري سراويل، فوثب البائع إلى يد النبي ﷺ ليقبلها فجذب يده، ومنعه قائلا له:** (هذا تفعله الأعاجم بملوكها وليست بملك، إنما أنا رجل منكم)[1] **ثم أخذ السراويل فأردت أن أحملها فأبى وقال:** (صاحب الشيء أحق بأن يحمله)[2].

4- **وكان ﷺ مرة في سفر مع جماعة فلما حان موعد الطعام، عزموا على إعداد شاة يأكلونها. فقال أحدهما: علي ذبحها. وقال الآخر: علي سلخها. وقال الثالث: علي طبخها، فقال النبي ﷺ:** (وعلي جمع الحطب)**!" فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك العمل فقال:** (علمت أنكم تكفونني، ولكنني أكره أن أتميز عليكم، وأن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه)[3].

5- **جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب فقال لغلام له قصاب: اجعل لي طعاماً يكفي خمسة، فإني أريد أن أعود النبي ﷺ خامس خمسة، فإني قد عرفت في وجهه الجوع، فدعاهم، فجاء معهم رجل، فقال النبي ﷺ لصاحب الدعوة:** (إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له فأذن له، وإن شئت أن يرجع رجع) [4] **فقال الأنصاري: لا بل أذنت له.**

6- **وكان من عادته ﷺ مع أصحابه أنه يقبل معذرة المسيء ولا يجابه أحدا بما يكره، وإذا بلغه عن أحد شيء يكرهه نبّه على خطئه بقوله:** (ما بال أقوام يفعلون كذا)[5] **دون أن يذكر اسمه.**

7- **ولم يكن يُحب أن يقوم له أحد، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس وينزل إلى أسواقهم فيرشدهم إلى الأمانة وينهاهم عن الخداع والغش في المعاملات.**

8- **وكان من عادته أن يبش إلى كل من يجلس إليه حتى يظن أنه أحب أصحابه إلى قلبه.**

---

1 أخرجه أبو يعلى، وابن حبان وإسناده ضعيف.
2 أخرجه أبو يعلى، وابن حبان وإسناده ضعيف.
3 ذكره الزرقاني في شرح المواهب 4/265.
4 رواه البخاري رقم 2081.
5 أخرجه العراقي في تخريج الإحياء رقم 179/م3.

9- ويقرب إليه ذوي السبق في الإسلام والجهاد ولو كانوا غمار الناس.

10- ويستشر أولي الرأي فيما هو من شؤون السياسة أو الحرب أو أمور الدنيا، وينزل عند آرائهم ولو خالفت رأيه كما حصل في معركة بدر وغيرها

خشيته وعبادته:

كان ﷺ كثير المراقبة لله ـ عز وجل ـ واسع الخشية منه، عظيم العبادة له، في الليل متهجداً راكعاً ساجداً حتى تتورم قدماه، وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، فتقول له في ذلك السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أتفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيجيبها: (أفلا أكون عبداً شكورا؟!)[1].

وكان كثير اللهج باسم الله ـ عز وجل ـ فإذا أكل أو شرب أو قام أو قعد أو ابتدأ شيئاً، أو فعل أمراً بدأ ذلك كله بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا اختتمه اختتمه بالحمد لله رب العالمين. وكان لا يفتر من الدعاء لربه.

ومن دعائه ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، ودعاء لا يسمع)[2].

(اللهم إني أسألك من الخير كله، ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله، ما علمت منه وما لم أعلم)[3].

(اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)[4].

(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك)[5].

(اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء)[6].

---

1 رواه البخاري رقم 1130.
2 أخرجه الطبراني وابن عدي في الكامل في الضعفاء رقم 5/131.
3 حديث صحيح رواه البخاري والألباني في أصل صلاة النبي رقم 3/1012.
4 أخرجه أحمد رقم 17665. وابن حبان رقم 949.
5 حديث صحيح رواه مسلم رقم 2739.
6 رواه الترمذي في سننه رقم 3591 حديث حسن غريب.

ولما كذبته ثقيف في الطائف وآذته وأغرت به سفهاءها يرجمونه بالأحجار حتى دميت قدماه، اتجه إلى الله خالقه، بهذا الدعاء الرهيب: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين إلي من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أم إلي قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن ساخطاً علي فيا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات والأرض وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تحل علي غضبك، أو تنزل علي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[1].

رياضته ونظافته:

ومع هذه العبادة، وذلك التضرع والبكاء، كان طيب النفس متفتحاً للحياة، يتسابق مع عائشة، ويتصارع مع أصحابه، ويشهد لعب الحبشة في أعيادهم، وعنى بلباسه ونظافته، فهو كثير الاغتسال، كثير الادهان بالطيب، إذا مرّ من طريق يعرف الناس أنه قد مر به لما يجدون من طيبه، وإذا صافحه المصافح يظل يجد أثر الطيب في يده ثلاثة أيام، وكان لا يفارقه في حضره وسفره مشطه ومقصه ومرآته ومكحلته. وبهذا يفترق الأمر كثيراً عن معنى الدين والتعبد في الديانات الأخرى إذا يعتبرون من مآثر القديس عندهم أنه لم يقرب جسمه الماء طيلة حياته!. كما يفترق عن عادة الغربيين في هذه الأزمان إذ رأيناهم يعيبون على الرجل أن يدهن بالطيب فتفوح رائحته الطيبة منه، ولله في خلقه شؤون!.

مزاحه ودعابته:

ومما يتصل بطيب النفس حب الدعابة البريئة والمزاح مع الأصحاب والمترددين عليه، فقد كان ﷺ يحب الدعابة ويبتسم للنكتة اللطيفة، ويمازح أصحابه ويداعبهم بالنكات اللطيفة.

1- **جاءته امرأة عجوز تطلب إليه أن يدعو الله لها بدخول الجنة، فقال لها مداعباً:** (أو ما علمت أن الجنة لا تدخلها عجوز؟) **فولت تبكي فقال:** (ردوها، أما قرأت قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[2][1].

---

1 رواه الهيثمي في مجمع الزوائد رقم 6/38. ةالألباني في السلسلة الضعيفة رقم 2933.

2 سورة الواقعة، الآيات 35 - 37.

2- **وجاءته امرأة من الأنصار تشكو إليه زوجها. فقال:** (أزوجك الذي في عينه بياض؟) **فجزعت إذ ظنت أن بعينه عيباً لم تطلع عليه، فأفهمها أن كل إنسان في عينه بياض حول المقلة.**

3- **وجاءه أعرابي يسأله أن يمنحه ناقة يركب عليها في سفره فقال له:** (أنا حاملك على ولد ناقة!) **فقال: وما أصنع به يا رسول الله؟ فقال:** (وهل تلد الإبل إلا النوق؟)[2].

تواضعه وسماحته:

وقد رأيت فيما مرّ معك من معاملته لأصحابه أنها معاملة نبي كريم، وزعيم محبوب متواضع، وإنسان عظيم استمد عظمته من خصائصه لا من جاهه ولا من نفوذه. ومما يروع في سيرة رسول الله ﷺ أنه ظل هو الإنسان المتواضع تواضع الأنبياء العظماء في مختلف مراحل دعوته، حين كان مضطهداً، و حين كل منتصراً، وحين كان وحيداً، وحين كان سيد الجزيرة العربية المطاع، حين كان في أشد المحن، وحين كان في أوج المجد والانتصار. وما عهدنا بمثل هذا في تاريخ العظماء.. وما كان محمد عظيماً فحسب ولكنه رسول الله أيضاً.

يوم فتح الله له مكة، وانهزمت أمام جحافل جيوشه قريش الطاغية الباغية التي ناصبته العداء نحواً من عشرين عاما، دخل مكة على جمل له، مطأطئ الرأس خضوعا لله وشكراً. وجاءه الرجال خائفين، وفيهم رجل ترتعد فرائصه، فقال له: (هون عليه إنما إنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد!)[3][4].

وظل رسول الله ﷺ يستمع إلى العبد والعجوز والأرملة والمسكين. يقف في الطريق لكل من يستوقفه، ويصافح كل من يلقاه، فلا يترك يده حتى يكون الذي استوقفه هو الذي يترك يده، يتفقد أصحابه، ويزور مرضاهم ويشهد جنائزهم، ويستمع إلى مشاكلهم، ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم.

رحمته وشفقته:

---

1 ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 6/1221.
2 حديث حسن صحيح رواه الترمذي في سننه رقم 1991.
3 اللحم المقدد.
4 رواه ابن ماجة في سننه رقم 3312.

كان ﷺ واسع الرحمة بالأطفال والنساء والضعفاء. سمع بكاء صبي وهو في الصلاة فخفف صلاته كيلا تفتن أمه التي كانت تصلي وراءه. ومرّ بعد انتهاء إحدى المعارك بجثة امرأة مقتولة فغضب وقال: (ألم أنهكم عن قتل النساء؟ ما كانت هذه تقاتل**!**)[1].

ورأى جملاً هزيلا فقال: (أتقوا الله في هذه البهائم، أطعموها واركبوها صالحة**...**)[2].

وبلغت معاملته للأرقاء، ووصاياه فيهم حداّ لم يعرفه التاريخ وكل ذلك دليل على ما فاضت به نفسه الكبيرة من معاني الرحمة والشفقة.

مشاركته لآلام الشعب:

اشتكت إليه فاطمة بنته ما تلقاه من أعمال البيت من شدة وعناء، وطلبت إليه أن يخدمها خادماً، فرفض عليه السلام ذلك وقال لها: (لا أعطيك، أدع أهل الصفة **ـ وهم جماعة من الفقراء ـ** تطوي بطونهم من الجوع)[3].

وأتى النبي ﷺ بيت فاطمة ليزوره، ثم عدل فلم يدخل عليها، فبعثت علياً ليسأل عن سبب عدوله عن زيارتها، فأجابه الرسول: (إني رأيت على بابها ستراً موشياً) **فعاد علي إلى فاطمة فأخبرها الخبر، فقالت فاطمة: ليأمرني فيه بما شاء، فقال ﷺ** (لترسلي به إلى فلان أهل بيت بهم حاجة)[4].

وأراد زيارتها مرة أخرى فعاد كذلك دون أن يدخل عليها، فأرسلت تسأله عن سر ذلك أيضاً، فأجابها: (إني وجدت في يدها سوارين من فضة)**، فبلغها ذلك فأرسلتهما إليه، فباعهما النبي ﷺ بدرهمين ونصف، وتصدق بهما على الفقراء.**

أي رجل شعبي على الأرض كمحمد ﷺ فيه للأمة كلها غريزة الأب وفيه على كل أحواله اليقين الذي لا يتحول، وفيه الطبيعة التامة التي يكون بها الحقيقي هو الحقيقي؟ يا بنت النبي العظيم! إن زينة بدرهمين ونصف لا تكون زينة في رأي الحق

---

1 أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم 4789.
2 صحيح ابن حبان رقم 545.
3 ذكره الألباني في ضعيف الترغيب رقم 984.
4 حديث صحيح رواه البخاري رقم 4613.

إذا أمكن أن تكون صدقة بدرهمين ونصف! إن فيها حينئذ معنى غير معناها! فيها حق النفس غالبا على حق الجماعة، وفيها الإيمان بالمنفعة حاكما على الإيمان بالخير وفيها خظا من الكمال، إن صح في حساب الحلال والحرام، لم يصح في حساب الثواب والرحمة.

زهده في الدنيا:

دخل عليه عمر ـ رضي الله عنه ـ يوماً فرآه على حصير فد أثر في جنبه ورفع رأسه في البيت فلم يجد إلا إهاباً معلقاً[1] وقبضة من شعير وحصيراً تكاد تبلى، فبكى عمر. فقال له: (ما يبكيك يا ابن الخطاب؟)**. قال عمر: يا نبي الله! وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر، في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته ؟ فقال ﷺ:** (أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا)[2].

ودخل عليه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرة فرآه على تلك الحال. فقال له: يا رسول الله ألا آذنتنا (أعملتنا) حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: (ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها)[3].

نفقاته وصدقاته:

وكان ﷺ كثير النفقات والصدقات، لا يدخر مالا ولا متاعا، وكثيراً ما يستدين لينفق على بعض ذوي الحاجات، وهو يعطي عطاء من لا يخشى الفقر كما قدمنا، وقد توفي وليس عنده درهم ولا دينار، وقد أوقف كل أرض كانت قد صارت إليه من الغنائم، وفي ذلك يقول الحديث المشهور الذي خفي على بعض الطوائف سر روعته ودلالته على صدق نبوته وإخلاصه في رسالته: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه)[4].

---

1 الإهاب كيس من جلد.
2 رواه مسلم رقم 1479.
3 أخرجه الترمذي رقم 2377. وابن ماجة 4109.
4 حديث صحيح ذكره ابن كثير في تفسير القرآن 5/207.

جاءه مرة مال كثير فأنفقه إلا بعضة دريهمات استبقاها، إذ لم يجد لها طالباً، فما عرف تلك الليلة النوم قلقاً مما بقي عنده، وما كاد يصبح الصباح حتى سارع إلى إنفاقها.. وهكذا صح فيه قول صحابته: كان أجود ..الريح المرسلة.

عدله وشدته في الحق:

وكان لا يعرف في الحق صديقاً ولا قريباً فالكل عنده سواء، والجميع مسؤولون عن أعمالهم أمام الله وأمام الشريعة. سرقت امرأة من نبي مخزوم حلياً أو متاعاً، ورُفع أمرها إلى النبي ﷺ فاعترفت بالسرقة، فخشي قومها أن ينفذ الرسول عقوبة السارق فيفتضحوا، وجاؤوا إلى أسامة بن زيد ـ وكان معروفاً بحب النبي ﷺ له ولأبيه زيد ـ وكلموه في أن يشفع للمرأة أن لا ينفذ فيها العقوبة، فكلم رسول الله في ذلك فغضب ﷺ وقال له: (أتشفع في حد من حدود الله) **ثم جمع الناس فخطب فيهم فقال:** (يا أيها الناس.. إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[1].

شجاعته في الحروب:

ومن كمال هذه الصورة العجيبة في اكتمالها، شجاعته ﷺ في الحرب، فقد كان يقود الجيوش، ويخوض المعارك، ويحرض على القتال في سبيل الرسالة التي يحملها وآمن بها، ولم يعرف عنه نكوص في معركة ولا فرار في موقعة، بل نجده في معركة أحد ـ وقد انهزم أكثر المسلمين ـ ثابت الجنان يتلقى سهام الأعداء وهو واقف يقاتل ويناضل. وفي معركة حنين إذ فر عنه أكثر الناس وقف على بغلته وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[2]. **وفي شجاعته يقول علي ـ رضي الله عنه ـ وهو البطل المقدام: كنا إذا احمرت الحدق، وحمي الوطيس ـ أي اشتدت الحرب ـ نلوذ برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.**

حرصه على أداء رسالته:

لم يترك رسول الله ﷺ وسيله لتبليغ رسالته إلى الناس إلا سلكها، ولم يترك خصومه وسيلة لحمله على ترك دعوته إلا سلكوها، ولكنه ثبت رغم كل إغراء

---

1 **حديث صحيح رواه مسلم رقم 1688. والألباني في صحيح الترمذي رقم 1430.**

2 **أخرجه البخاري رقم 2864. ومسلم رقم 1776.**

وتهديد بالقتل والاغتيال، وقال لعمه أبي طالب قولته المشهورة: (والله يا عم! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته)[1]. **ولما شج وجهه ﷺ في معركة أحد وكسرت رباعيته قيل له لو دعوت عليهم؟ فقال:** (إني لم أبعث لعاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[2].

الرسول الكامل:

ذلك نمط من أخلاقه ﷺ نلمح منها حقيقة شخصيته، ولسنا نفيض في بقية أخلاقه، من وفائه وأمانته، وحيائه، وإخلاصه، وصدقه، وعفافه، وحسن سياسته وجميل جواره، وفصاحته، وغير ذلك مما فاضت به كتب السيرة والتاريخ. فنحن هنا نضرب الأمثال ولا نستقصي، ولكني أختم هذا الحديث بالإشارة إلى ما كان لهديه في إرشاد قومه من أثر في توجيههم نحو الخير والحق والكرامة والسعادة.

الرسول المعلم:

هذه صورة خاطفة عن شخصية الرسول وأخلاقه وأسلوب تعليمه لأصحابه، وهي صورة غير متكاملة ولا تامة، ولكني اجتزأت منها ما يدل على تمام الصورة وحقيقتها، وتمام هذه الصورة كما يبدو مما ذكرته كتب السيرة أنه ﷺ جمع في وقت واحد أسمى ما تكون عليه صلة رسول بربه. وأروع ما تكون سيرة زعيم بشعبه، وأكمل ما تكون علاقة مصلح بالعالم الإنساني كله.

وأما السيرة في الأمة، فهي سيرة من أحب لأمته الخير ومنحها النصح، ودلها على الهدى، ولآثرها على نفسه وأهله، ولم يحتجن دونها مالاً ولا أثاثاً ولا رياشاً، بل كان يعطيها ويحرم نفسه ولا يملأ بيوتها بالنعمة، وإن بيوت أزواجه ليلفحها حر الخشونة والإقلال وشظف العيش، وهي سيرة من لم يحمل أتباعه على ترك الدنيا ليعيشوا فيها كالغنم المشتتة بين قطيع الذئاب! ولا حملهم على ركوب الدنيا فيكونوا فيها كالكلاب المسعورة إن لم تنهش اللحم فقد مزقت الثياب! أوقد فيهم جذوة العمل للحياة مع شعلة الإيمان بالله، وبثّ فيهم روح الثورة على الباطل والتمرد على الظلم والترفع عن الدنايا، وغرس فيهم ـ وهم في الحرب ـ أرق شمائل الإنسانية الرحيمة

---

1 ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم 909.

2 حديث صحيح رواه مسلم رقم 2599.

في السلم، فكان في حربه أوسع صدراً وأكثر رحمة وأبر بالأسرى والضعفاء من كثير من زعماء الدول في سلمهم وسياستهم ورعايتهم للشعوب.

حسبه من الإصلاح العالمي أنه أنشأ أول دولة اشتراكية إنسانية في العالم، وأول مجتمع اشتراكي إنساني في التاريخ، وأول جيل اشتراكي علمي إنساني يبني أسمى الحضارات.

ذلكم هو محمد رسول الله!.. باني أول دولة! ومنشئ أول مجتمع!.

السؤال الأول: ما هي المكافأة التي رصدتها قريش لمن يعيد إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر يوم الهجرة؟

السؤال الثاني: متى بدأ العمل بالتقويم الهجري؟

السؤال الثالث: من الصحابي الذي ترك ماله للمشركين حتى يهاجر إلى

السؤال الرابع: من هم مرافقو الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة؟

السؤال الخامس: من أول من حيّا الرسول صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام؟

السؤال السادس: ما أول آية نزلت في القتال؟

السؤال السابع: ما هي أم قشعم؟

السؤال الثامن: كم تبلغ مساحة فلسطين؟.

السؤال التاسع: قامت القدس على أربعة جبال، ما هي؟.

السؤال العاشر: من مؤلف كتاب [رسالة الغفران]؟

آخر موعد لاستلام الإجابات هو الأول من صفر **1441** هـ
وترسل الإجابات على بريد المجلة الالكتروني أو على صندوق بريد رقم **19004** القدس

إجابات أسئلة مسابقة العدد (246)

السؤال الأول: أركان الحج: [1] الإحرام [2] الطواف [3] السعي [4] الوقوف بعرفة.

السؤال الثاني: المبيت في منى أيام الحج واجب ومن تركه عليه دم.

السؤال الثالث: يقال أن تبّع الحميري هو أول من كسا الكعبة بالثياب.

السؤال الرابع: تُسمّى الميتة التي تقع من مكان مرتفع [المتردّية].

السؤال الخامس: القعقاع بن عمرو قيل أنه جيش وحده.

السؤال السادس: الثرى: تراب أصابه الندى والرطوبة، أما التراب فهو ما كان جافا.

السؤال السابع: الفرائص هي العضلة بين الكتف والثدي.

السؤال الثامن: من أسماء الباب العتم: باب فيصل، وباب المجاهدين.

السؤال التاسع: صلاح الدين الأيوبي هو الذي أنشأ الخانقاة الصلاحية في القدس.

السؤال العاشر: مصطفى صادق الرافعي هو مؤلف كتاب [إعجاز القرآن والبلاغة النبوية].

الفائزون

25 دينار

لبيب فالح طه القدس	ضياء الدين حلبية أبو ديس